

د. عمرو عبد السميع

# كفاحي

صفحات من سيرة المناضل المتقاعد طلبة هريدي  
وحكايات أخرى

دار الشروق

کفاحی

الطبعة الأولى  
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

© دار الشروق

أسسها محمد المعتمد عام ١٩٦٨

القاهرة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣  
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تليكس ٠ SHROK UN  
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣  
فاكس ٨٦٧٥٥٥ - تليكس SHROK 20175 LE



إهداء  
إلى كلِّ مَنْ هُوَ طُلُوبَةٌ ..  
مع خالص تحيَّاتي  
عمرو



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

بقلم : أحمد بهجت

ليست هذه دراسة نقدية جادة وثقيلة الدم من الدراسات التي يقرأها القارئ فلا يفهم منها شيئا . . وكلما توغل في القراءة ازداد عدم فهمه ، وبقدر عدم الفهم الذي ينال القارئ يزداد احتراما وإعجابا بالناقد . ليست هذه دراسة كذلك . .

يمكن أن يقال إنها محاولة لكشف مواضع في حديقة من حدائق الضحك . . فالكتاب في نهاية الأمر ينتمى إلى الأدب الساخر . . والأدب الساخر لا منطوق له ، بمعنى أن المنطق المعتاد لا يصلح له ولا ينطبق عليه . . فهو أدب له منطوقه الخاص المتميز ، الذي ينبع عادة من تفجير المنطق المعتاد . .

.....

ومؤلف الكتاب هو د . عمرو عبد السميع . .

وهو محاور صحفى من طراز رفيع ، إلى جوار مقدرته على ادارة ندوات صحفية سياسية ، وهى ندوات يستغل فيها قدرته على الصعود بالحوار إلى الذروة ، واستخلاص الرأى ، أو اعتصامه من أطراف الحوار، إلى جوار أنه رسام كاريكاتيرى فى الأصل . . .

وهو رسام يومى . . يستطيع أن يعثر على فكرة كل يوم ليرسم لوحته الكاريكاتيرية وقبل هذا كله هو مدرس اكاديمى فى كلية الإعلام ، وكانت اطروحته لنيل الدكتوراه هى « فن الكاريكاتير »

نحن إذن أمام جوانب متعددة في شخصية الكاتب وهي مواهب تشبه قطعة الماس التي تشتعل من الداخل بألوان مختلفة ، حين يسقط عليها شعاع من الضوء وينكسر داخلها إلى آلاف الألوان . .

ليست السخرية إذن جديدة على الكاتب ، فهو يمارسها في رسومه الكاريكاتيرية ، وإن كان كتابه هذا أول إبداع له في عالم الكتابة الساخرة . . .

.....

إسم الكتاب « كفاحى » . .

وهو كما يحددنا المؤلف في العنوان « صفحات من سيرة المناضل المتقاعد طلبه هريدى » . .

تساءلت بينى وبين نفسى : لماذا اختار الكاتب هذا العنوان . . إن كفاحى كتاب شهير لطاغية ألمانيا النازية الهر ادولف هتلر . . فما هى العلاقة بين الهر ادولف والهر هريدى . .

إن كفاح هتلر الألماني هو قصة حياة رجل يؤمن بالفاشية ، وهو رجل نجح بذكائه وعزمه على تحقيق امنياته وطموحاته والوصول إلى السلطة . . . بعدها تحولت ألمانيا إلى آلة حربية نجحت في صب ويلاتها على الجنس البشرى كله . .

يختلف كفاح هتلر المصرى « طلبه هريدى » عن كفاح هتلر الألماني في الجوهر والشكل . . لقد اختار هتلر الفاشية ، واختار هريدى الشيوعية . . باختصار يمكن القول أن طلبه هريدى يكافح كفاح رجل ارزقى يبحث عن لقمة عيشه ، بعد أن سقط الاتحاد السوفيتى وتفككت معه مفاصل هريدى وضاعت الحسنه التى كانت تأتية من الكتلة الشرقية . . .

.....

بهذه البداية النارية يبدأ الكتاب .



وهو يبدأ كما تبدأ المسرحيات الجيدة بأزمة طاحنة . . . . .  
أزمة رجل مهدد بالمجاعة . .

لقد كان طلبه عبد الرحمن يوسف هريدى ( هذا اسمه الكامل ) يشتغل  
مناضلا من المناضلين الأشاوس ، ثم وضعت الشيوعية اوزارها وبركت  
بأقدامها الأربعة على الأرض . . . . .  
ماذا يفعل هريدى الآن . . ؟

كيف يتصرف فى الأيام السوداء القادمة . . ؟  
مر أمام عينيه مشوار حياته النضالى . . إن البداية تبدو غائمة ومضبية ،  
ولكنها لا تخلو من وضوح .

لقد بدأ نضاله بتوزيع منشورات فى قرية شنتنا الحجر ، ثم أصبح شاعر  
عامية ينطبق عليه ما انطبق على شاعر الفصحى الذى قال :  
الليل ليل والنهار نهار .

والارض فيها الماء والاشجار . . .

ثم ترقى استثنائيا إلى وظيفة المناضل بسبب نشاطه الواسع فى كتابة  
التقارير الحزبية ضد زملائه . . ثم رشحه أكثر من مقهى فى القاهرة  
للحصول على رتبة المناضل . . وجاء فى براءة حصول على الرتبة . إلى تى . .  
إس . . طلبه . . الذى صاغ آمال الناس فى بر مصر ، واقعا شعريا يحتقن  
بالغضب والكراهية . . .

تاريخ طويل فى التسول النضالى أو النضال التسولى . . تاريخ طويل  
يمر أمام عينيه . . . والآن يجلس طلبه أمام الأحداث متأملا قسما هذا  
الزمان الجميل الذى ولى . .

ماذا يفعل طلبه هريدى الآن ؟

هل يستسلم لقدره . . . ؟ هل يعترف بالواقع الجديد وينزل على  
أحكامه ؟ .

هل يندب حظه ؟ هل ينسحب من مسرح الأحداث ويطويه الظل ؟  
هل يستمر على تجاهل الموقف الجديد ويظل وفيا لمبادئ الكادحين  
والبرولتاريا ؟ إن هناك بدائل كثيرة وإن كانت تعيسه أمام طلبه  
هريدى . . . . . فأى هذه البدائل يختار . . ؟

.....

يقولون أن الاختيار هو الرجل . .

هذا ما قال جان بول سارتر وكير كجورد من قبل ، ولئن كان طلبه هريدى  
لم يسمع بذلك إلا أنه كان في الجزء الداخلى من نفسه رجلا وجوديا يدرك أن  
الكيئونة تتوقف على الاختيار . . .

وبهذه النزعة البراجماتية الداخلية جلس طلبه هريدى وبدأ يحسب  
خسائره من انهيار الشيوعية ، وتوقف اجور المناضلين بعدها . . .

خمسة وعشرون ألفا وتسعمائة وأربعة وثمانون قرشا شهريا .

هذا حجم خسائره المادية ، كما حددها هريدى .

وكان لا بد من التحرك بسرعة في ثلاثة محاور . .

أولا : وقف هذا التزيف المادى وتعويضه . .

ثانيا : المحافظة على الهيئة الاجتماعية . .

ثالثا : تحديد ملامح دور سياسى جديد . .

وجلس هريدى أمام الورقة والقلم وبدأ يفكر في كيفية تعويض خسائره .

إن القوى الرئيسية الموجودة على الساحة والمرشحة لمنحه دورا جديدا  
كانت من وجهة نظره هى الحكومة ، والناصريون ، والوفد ، وقوى الإسلام  
السياسى ، وبعض مراكز الأبحاث والسفارات الأجنبية والعربية . .

.....

وجلس هريدى وصمم جدولا محاسبيا مبسطا وزع فيه الأعباء على هذه القوى . .

بدأ بالحكومة ، ونظرا لما تواجهه الحكومة المصرية من أعباء ومتاعب فسوف يكتفى بمطالبتها بخمسة آلاف جنيه و ٨٤ قرشاً في مطلع كل شهر أما الناصريون فقد كتب أمامهم مبلغ ثمانية آلاف جنيه وتسعمائة وأربعة وسبعون جنيها . . ولجأ إلى التقدير الجزأى معتمدا على الشواهد ، أما تشكيلات الإسلام السياسى فقد كتب أمامهم ثمانية آلاف جنيه شهريا . .

أما الوفد فقد طلب منه ١٧٥٠٠ جنيها شهريا . .

بقى بعد ذلك مبلغ ٢٢٥٠٠ جنيها ، وقد رأى طلبه أن تقوم بسدادها السفارات ومراكز البحوث والمنظمات غير الحكومية . .

بعد أن حدد طلبه هريدى طلباته المادية ، وجد نفسه أمام مشكلة تتمثل فى تحديد المصالح وتحديد الاسلوب . .

أما تحديد الاسلوب ففى الوسيلة التى ينوى طلبه أن يستخدمها فى إقناع هذه القوى بوجود الاستعانه من خبراته النضالية . .

أما تحديد المصالح فقد لخصه طلبه فى شكل مجموعة من المعادلات الرياضية على النحو التالى :

١ - الحكومة ضد التطرف ، إذن لابد من إقناع الحكومة بأهمية نضاله فى مواجهة التطرف ومكافحته . .

٢ - الوفد ضد الحكومة ، إذن لابد من إقناع الوفد بأهمية طلبه فى مناوأة الحكومة .

٣ - الناصريون ضد بعضهم البعض ، لابد إذن من إقناع كل ناصرى بأن طلبه ضد بقية الناصريين . .

٤ - الاسلاميون ضد الكل ، إذن فلا بد من إقناع الاسلاميين بأن طلبه يرفض الجميع ..

.....

بعد عشرة فنانين من القهوة السادة ، وست وثلاثين سيجارة ، قرر طلبه هريدى أن يتوكل على الله ويختار اسلوبا لتنفيذ مهمته ، وهو اسلوب يطلق عليه علماء السياسة تسميات عديدة ، إلا أن طلبه اختزل هذه التسميات في تسمية شعبية يعرفها المصريون باسم رمى الجته أو تلقيح الجته ..

.....

بعد أن اطمأن هريدى أن كل شئ تحت السيطرة كما تقول الحكومة عند وقوع شغب ..

انطلق كالصاروخ يؤدي مهمته في النضال ..

قابل السفير الأمريكى .. وذهب لجمعية النداء الجديد .. وجماعة ابن خلدون ، وكل الجماعات التى تعمل فى الحقل السياسى .. كما بدأ عقد ندوات لقراءة شعره ...

باختصار .. انطلق طلبه هريدى يعمل أخيرا ..

.....

لا أريد أن أفسد على القارئ متعة القراءة بتلخيص الكتاب له ، فالكتاب أصلا يصعب تلخيصه ...

ربما لان بناءه الداخلى يقوم على المواقف التى تتداعى ، ويسحب تداعيتها أحيانا لم تكن فى الحسبان .. ولا فى التصور ..

وربما لان بناءه يقوم على أساس ارتكاز كل موقف على الموقف الذى سبقه ، بحيث يمكن للاجتزاء أو التلخيص أن يهوى بالبناء كله ويحطمه ..

.....

ولايقى أمامنا سوى محاولة بيان الرؤية الإبداعية في الكتاب ذاته . .  
يرسم د. عمرو عبد السميع صورة لمناضل من مناضلي هذا الزمان ، مثلما  
رسم ليرمونتوف في كتابه « بطل من هذا الزمان » صورة لبطل المرحلة التي  
كانت تمر بها روسيا . .

ومع الفارق المتمثل في درامية كتاب ليرمونتوف ، وفكاهية كتاب عمرو  
عبد السميع ، يبقى الأساس قائما ، وهو صورة إنسان ينتمى للعصر الذي  
يتحدث عنه المؤلف . . .

إن بطلنا طلبه هريدى إنسان يمكن أن يقال فيه مايقال ، ولكن ثمة  
ظاهرة واضحة تميزه . .

ظاهرة الصلابة . .

قد تكون عند بطلنا كلاحه أو تلاحه أو تلامه . . ولكنها في نهاية الأمر  
صلابة . .

إنه يحدد هدفه ، ويشق طريقه إليه وسط قهقهة القارئ وعدم تصديقه لما  
يجرى . . .

رغم كل شئ . . ينجح طلبه هريدى في أن يتحول ١٨٠ درجة من  
الشيوعية إلى الرأسمالية الأمريكية أو العمالة الأمريكية . . .

وهو يفعل هذا دون جهد من جانبه . .

يفعله بعفوية وانسياب ويسر . . . حتى ليخيل إليك إنه قد قام  
بتمرينات روحية عنيفه حتى وصل لهذه القدرة على التحول من أقصى  
اليسار لأقصى اليمين دون جهد . .

ويعرى المؤلف في كتابه هذا النضال المستمر للبطل ، وهو يضحكناعليه  
كما يضحكننا على اصرار البطل على الوصول لأهدافه رغم استحالة هذا  
الوصول . .

وتتبع الفكاهة في الرواية من تركيبة مركبة ومعقدة تأتي من الاحاسيس  
الداخلية للبطل وارتطامها بالواقع الحى المعاش ، ومن المدهش أن المؤلف  
يستخدم الخلفية كواقع ينقله بحدافيره ، بينما البطل خيال يستمد وجوده من  
الواقع ..

إن المجتمع الذى يتحدث عنه المؤلف واقع حى بأساء أشخاصه  
ووظائفهم وكياناتهم ..

إما البطل فهو خيال له جذور فى الواقع ..

ومن خلال المزج بين ماهو واقعى وماهو خيالى يقوم المؤلف بتعريف  
النضال والمناضلين .. والمبادئ والقيم ، والأقوال والأفعال ، وبهذا كله  
يرسم صورة جديدة للمجتمع ..

صورة تثير الضحك .. وشر البلية ما يضحك كما يقولون ..

أيضاً تتبع الفكاهة من اللغة التى يستخدمها هريدى ..

إن هريدى - رغم أن المؤلف لا يتحدثنا عن دراساته الجامعية ، الا أنه يدعه  
يتحدث بينما نستمع نحن ..

ونفهم نحن من أحاديته ولعه باللغة الأكاديمية التى تستخدم  
المصطلحات والمحاور والزوايا والأنساق والقوالب .

ولكن اللغة فى نهاية الأمر اشارة إلى شئ ..

ومن المدهش أن طلبه هريدى يستخدم اللغة استخداما جديدا للغاية ،  
أنه لا يشير بها إلى شئ واضح ..

ورغم ذلك فهو يتلاعب بها .. وخاصة فى شعره العامى الذى يقول فيه  
مايقول معتمدا على أن هذا شعر .. وأن أعذب الشعر أكذبه .. لا على  
سبيل المجاز كما يقول الشعراء ، وإنما على سبيل الحقيقة المؤكدة ..

يمكن القول إذن . .

إن طلبه هريدى يستخدم اللغة كما يستخدمها السياسيون ، انه يتكلم كثيرا ولكنه لايقول شيئا محمدا . . .

هذا الاستخدام الاكروياتى للغة ، هو سمة كل المناضلين فى عصرنا ، مثلها هو أيضا سمة للسياسيين . .

من هنا تنبع الفكاهة فى الكتاب ، كما تنبع أيضا من اهتمام المؤلف بالتفصيلات الدقيقة . . . .

وهى تفصيلات تراعى الشكل واللون والرائحة .

تأمل مايقوله المؤلف . .

« كانت رائحة نفاذه ومألوفة تنبعث من الخطاب ، وإستنفرت هذه الرائحة قدرات سيف فى الشمشمة محاولا تذكرها والتعرف عليها . . حتى هداه أنفه إلى أصلها وفصلها . .

إنها نفس رائحة السائل الشهير الذى تعود بعض ماريشلات سيدنا الحسين إن يلحوسوا به أيدى المارة أمام المسجد ، والذى يصعب التخلص من أثره فى الخمسة ساعة الأولى التى تلى اللحوسة . .

.....

أو تأمل وصف المؤلف لموقف طلبه وهو يسير . .

« كان طلبه يسير فى المقدمة ، ومن خلفه الفرسان الثلاثة ، متلفتا بنجومية ظاهرة إلى المارة ، والبائعين الواقفين إلى جوار عرباتهم ، وقد رصت على العربات أهرامات صغيرة من ثمار الفاكهة ، وفوقها لافتات مكتوب عليها الأسعار . . وهم منهمكون فى تغيير هذه اللافتات بأخرى كل دقيقة ونصف بالضبط . . وهو المعدل الزمنى المتفق عليه لزيادة الأسعار » . .

.....

ستجد في الكتاب ما يضحك ، وستجد فيه ما يُرفض ، وستجد فيه  
تهويلات شعرية تشبه ماجاء في ديوان المناضل « قبلنى تحت الدبابه » ..  
رقم ٩٥ .. سفر البلاعه ..

.....

إن كفاح الهر هریدی ليس سوى نصف الكتاب .....

بينما النصف الثانى حكايات أخرى .. وهى مقالات كتبها عمرو عبد  
السميع فى مناسبات مختلفة ونشرت فى الصحف العربية والمصرية ..  
وفيهما ما هو حزين وجاد .. وفيها ما ينزع إلى الفلسفة والكآبة وفيها ما  
يصرخ بالفرح ويضح بالضحك ..

ويختلف اسلوب هذا الجزء الأخير عن اسلوب الجزء الأول فهو يتلون من  
الصفاء إلى العكارة ، ومن الغضب إلى الرضا ، ومن الحب للكراهية طبقا  
لمحتوى الموضوع والمادة ... بينما يأخذ الجزء الأول « كفاحى » اسلوبا واحداً  
هو الأسلوب الساخر ، وإن كان الحس الساخر يبدو متصلا فى الجزئين .

احمد مجتهد



البداية

آكل من فرخه نسيه  
أربض في عين الصيره  
أهتف من قلب الجرح  
المتقيح في الأعماق :  
«الساندوتش  
في الصباح وفي المساء  
شيء إتنسى!  
والأمريكان  
فتحوا البيبان  
والبغبغان  
واقفه في زوره ترمسه»  
٤٣ : سِفر الشطافه  
من ديوان رغبات مذبوحه

.....

ما إن أتم الشاعر المناضل طلبه عبد الرحمن يوسف هريدى إلقاء قصيدته  
الجديدة، حتى ارتجت القاعة الرئيسية لحزب الترقى، بتصفيق مدوى، ذى  
إيقاع منغم منتظم هز أرجاء المكان، فيما كان بعض شباب الحزب يرفعون

أصابهم بعلامة النصر، وفي ركن من أركان القاعة وقفت بعض السيدات من أعضاء تنت (الحروف الأولى من التنظيم النسائي للترقى) يمين الشاعر وقوفا، بينما طفرت الدموع الساخنة من مآقيهن تأثراً بقصيدة طلبه .

وكان قد سبق وصول طلبه إلى مقر الحزب جو مشحون متوتر، حيث تناثرت علامات الاستفهام في المكان تتساءل عن سر تأخره زهاء الساعة، وراجت شائعات متنوعة تتحدث عن أن أجهزة الأمن ألفت القبض على الشاعر المناضل لتمنع وصول صوته إلى الجماهير حاملا كلمات قصيدته الجديدة .

وبينما كانت هذه الشائعات تسرى سريان النار في الهشيم، إنهمكت إحدى المناضلات في كتابة بيان بعنوان «لهفى على طلبه»، بينما بدأت رفيفات أخريات في الاتصال بمنظمات حقوق الإنسان المحلية، والإقليمية، والدولية لتوزيع البيان عليهم، والذي يتضمن الإشارة إلى أن ما تعرض له طلبه يعد انتهاكاً لحرية التعبير والإبداع، بينما قام أحد رسامي الحزب بإعداد «موتيفاً» صغير يصور فيه جنزير دبابة يسحق قلما محفورا عليه حرفي الطاء والهاء (الحروف الأولى من اسم طلبه هريدى).

وفي هذه الآونة كان طلبه يتصل ببعض أعوانه من أعضاء الحزب عبر هاتف سيارته البيجو ٦٠٥ موديل ١٩٨٩، ويطمئن إلى أن الشائعة راجت بشكل مؤثر، مؤكداً في كل لحظة أن نجاح القصيدة و«تسميعها» يعتمد اعتماداً أساسياً على خلق إطار أو جو مناسب تلقى فيه .

وما إن وصلت السيارة إلى شارع مجاور لمقر الحزب، حتى فتح طلبه حقيبة السامسونيت وأخرج أوراق القصيدة، ثم بدأ في تغيير ملابسه بأسلوب الرجل الذى يعرف - بالضبط - ماذا يفعل .

جينز أزرق كالح، بلوفر من الصوف الخشن ويراعى وجود خرق متوسط فيه عند الكوع الأيمن بحيث يظهر هذا الخرق واضحا عند تلويح طلبه للجماهير بيده اليمنى، ثم كوفيه فلسطينية تلف حول الرقبة بإهمال مقصود، وأخيرا حذاء من الكاوتشوك المحلى .

وبعد هذا بدل طلبه علبة سجائره الأجنبية وقداحته الذهبية، بعلبة أخرى محلية يرافقها مشط كبريت، ثم خرج من السيارة باندفاع من ينفى علاقته بها .

مشى طلبه عدة خطوات مسرعة، ثم توقف فجأة وشخص إلى الأفق بطريقة شبه فلسفية، وغير بعد ذلك أسلوب مشيته - حتى يخال للمرء حين يصادفه - أنه أمام حطام إنسان يسعى على الطوار متهاكاً، كمن تعرض منذ قليل لعلقة ساخنة ليس لها نظير.

ودلف الشاعر إلى مقر الحزب صائحا بصوت مبحوح في كل من قابله أنه لا يريد أن يتحدث في موضوع تأخره أو أسبابه، وأن رده الوحيد على الذين حاولوا الحيلولة دون وصول صوته إلى الجماهير، هو أن يلقي قصيدته الجديدة، حتى لو كلفه ذلك حياته .

ووسط الجلبة التي أحدثها طلبه عند بثر السلم، اندفع تشكيل من سيدات «تنت» اللائى هرولن على السلام بلا نظام، مضيفات جوا دراميتكيا لافتا على الموقف، واختلطت الدموع، بالأحضان، بالقبلات، ويا حبيبي يا طلبه، وماذا فعل بك الكلاب؟، ولن تستطيع دبابات الدنيا أن تمنع وصول صوتك إلى الناس .

.....

كان سرد وقائع هذا المشهد أمراً ضرورياً قبل أن نستفتح معا سيرة المناضل طلبه .

وكان سرد وقائع هذا المشهد أمراً لازماً لثلم - معى - بأبعاد أزمة هذا الرجل وطريقته العبقريّة في الخروج من نفق الأزمة المظلم .

.....

نعم . . هي محنة متكاملة الأركان .

تلك التي نجد نفسك غارقاً فيها حتى شواشيك ، حينما تفقد وظيفتك ، التي طالما عرفك الناس بها وعاملوك على أساسها .

وهكذا وجد طلبه عبد الرحمن يوسف هريدى نفسه يعيش هذه المحنة ، بعد أن فقد وظيفته كمناضل أشاوس ، حين وضعت الشيوعية أوزارها ، وأيضاً حين بدا أن وجوده بديل معنوى أو مادى (خللى بالك من «مادى» هذه وحياة أبوك) يعد أمراً مستبعداً ، على الأقل في الأمد المنظور .

والحقيقة أن طلبه لم يبدأ مشوار حياته كمناضل أشاوس دفعة واحدة ، فقد تدرج في سلك النضال شاغلاً وظائف مختلفة بدأت بموزع منشورات في قرية شتتنا الحجر ، ثم شاعر عامية ، وتمت ترقيته استثنائياً إلى وظيفة المناضل بسبب نشاطه الواسع في كتابة التقارير الحزبية ضد زملائه ، الذين صدرت منهم إشارات متنوعة تفيد افتقارهم للصلاية الثورية ، وسقوطهم في مستنقع الميوعة السياسية .

ثم حصل - أخيراً - على رتبة المناضل الأشاوس بناء على ترشيح أكثر من مقهى من مقاهى المثقفين في وسط المدينة ، وجاء في براءة حصوله على

الرتبة: «إلى تى . إس . طلبه الذى صاغ آمال الناس فى بر مصر . . واقعاً شعرياً يحتقن بالغضب والكراهية» .

.....

والآن يجلس طلبه وحيداً متأملاً قسماً وأحداث هذا الزمان الجميل الذى ولى، مفتقداً مزاوله مهنته الحبيبة الأثيرة إلى نفسه، مهنة المناضل الأشاوس .

ماذا يفعل طلبه فى كل هذه العيون التى تنظر إليه متشفية؟

ماذا يفعل طلبه فى أيام مستقبله التى تقبل عليه ثقيلة متحدية؟

ماذا يفعل طلبه وسط ظلام التجاهل البارد وهو الذى تعود أن يكون النجم الساطع فى كل المحافل السياسية والأدبية؟

.....

البحث عن دور

خسة وعشرون ألفاً وتسعمائة وأربعة وسبعون جنيهاً، وأربعة وثمانون قرشاً شهرياً .

هكذا حدد طلبه هريدى حجم خسائره المادية بعد انهيار الشيوعية .

ارتعش القلم فى يده وهو يحسب على الورق حدود هذه الكارثة، بينما أحمزت مقلتهاه، وجز على أسنانه بكل غيظ وموجده .

كان لابد من التحرك بسرعة لإيقاف هذا النزيف المادى المخيف، ثم كان لابد من التحرك بسرعة للحفاظ على الهية الاجتماعية، وتحديد ملامح دور سياسى جديد .

كل خلية فى جسم طلبه كانت على استعداد أن تبذل فى سبيل دور جديد كل مرتخص وغال، بل وكان صوت هاملت أمير الدانارك يتردد فى جنبات نفسه فى كل لحظة: «أكون أو لا أكون . . تلك هى المسألة . . تلك هى المسألة» .

وكانت القوى الرئيسية الموجودة على الساحة والمرشحة لمنحه دورا جديدا - من وجهة نظره - هى: الحكومة، والناصريون، والوفد، وقوى الإسلام السياسى، يحوطها بعض مراكز البحوث، والسفارات الأجنبية والعربية، ودوائر المثقفين متنوعة الدرجة والمستوى .

ويسرعة . . صمم المناضل جدولا محاسبيا مبسطا وزع فيه الأعباء على هذه القوى، إذ كان لابد - من وجهة نظره أيضا - أن تضطلع كل منها بمهمة



محددة في سداد ديون طلبه، بحسب قدراتها وامكانياتها، وبحسب استفادتها من ثقل طلبه ووزنه الجماهيري - من وجهة نظره مرة ثالثة - .

بدأ بالحكومة، وكتب هامشاً في أوراقه بالقلم الرصاص قال فيه: «إنه يعرف ويقدر الصعوبات التي تواجهها الحكومة المصرية في مفاوضاتها مع المنظمات الاقتصادية الدولية، كما أنه يعرف ويقدر حجم الإنفاق الهائل على مشروعات البنية الأساسية الذي تحمته هذه الحكومة، ثم أنه يعرف ويقدر - أخيراً - المشاكل الجمة التي تكابدها الحكومة نتيجة الزيادة السكانية المفزعة. . ومن ثم فإنه لن يطالب الحكومة بأكثر من خمسة آلاف جنيه وأربعة وثمانين قرشاً في مطلع كل شهر» .

وحين انتقل إلى تحديد المربوط على الناصريين واجهته مشكلة كبيرة، فلكى يحدد حجم إسهام الناصريين في رفع أعبائه المالية، لا بد وأن يعرف حجم دخل هذه المجموعة السياسية، وهاله عدم وجود مستندات أو وثائق تفيد أى باحث نزيه يود تقدير الموقف الاقتصادي للناصرين .

وهنا اضطر طلبه مرة أخرى إلى أن يخط بالقلم الرصاص هامشاً جديداً على أوراقه قال فيه: «نظراً لعدم توافر المعلومات في هذا الموضوع الشائك والحساس، فإنه سيلجأ - مضطراً - إلى الاعتماد على الشواهد بدلا من الاعتماد على القرائن» .

وأدت الشواهد - كما أكد لى طلبه شخصيا في حديث هاتفى بتاريخ ١١/٤/١٩٨٩ - إلى تحديده (جزافيا) لمبلغ ثمانية آلاف جنيه وتسعمائة وأربعة وسبعين جنيهاً شهرياً على الناصريين، ولكنه لم ينس أن يضيف هامشاً جديداً على أوراقه بالقلم الرصاص قال فيه: «إن لجوئى للتقدير الجزافى بالنسبة للناصرين لا يعنى - على وجه الإطلاق - أن أسلبهم الحق في

الطعن وإعادة التقدير بناء على أوراق ومستندات معتمدة يقدمونها لى في موعد أقصاه ٣١/١٢/١٩٨٩، كما أن هذا التقدير يعد في عرف القانون تقديراً كلياً مستحقاً على كل المجموعات والتشكيلات الناصرية، ولا تختص به مجموعة دون غيرها، وأن على كل الفصائل الناصرية أن تجتمع معاً، ولو في شكل مؤتمر عام، لتحدد التزاماتها بدقة في سداد المبلغ».

وإذا كان الاعتماد على الشواهد قد أقر من قبل طلبه كأسلوب للتعامل مع الناصريين، فإن مبدأ المساواة في الظلم عدل جعل من المحتم إقرار الأسلوب المذكور نفسه في التعامل مع تشكيلات الإسلام السياسي.

إلا أن المهمة - في الواقع - كانت أسهل كثيراً فيما يتعلق بهذه التشكيلات إلى درجة أن طلبه لم يجد ضرورة لأن يخطط بقلمه الرصاص أية هوامش، واكتفى - فقط - بكتابة كلمة واحدة ذات مغزى في أسفل الصفحة بالقلم الأحمر الفلوماستر وهي: (بها . . Bahamas)، ثم كتب إلى جوارها دون تعليق: ثمانية آلاف جنيه شهرياً.

وبقى الوفد الذي مثل تقدير موقفه معضلة حقيقية بالنسبة لطلبه، فالوفديون - كأفراد - أغنياء جداً، ولكنهم لا يهدون كذلك كحزب، وتاريخ الوفد يفيد أن تغييراً طرأ على تركيب هيئته العليا منذ أواخر الأربعينات، وأنه كان تغييراً لصالح سيطرة الأغنياء، ولكن طلبه لا يعرف - على وجه التحديد - العلاقة بين تركيب الوفد القديم، وتركيب الوفد الجديد.

وهرش طلبه رأسه من الخلف (بالمناسبة طلبه ذو شعر أكرت اشتعل شيباً في مناطق كثيرة منه، ويوجد خلف دماغه بقعة صلحاء هي المقصودة بفعل الهرش في الموقف الذي نحن بصدد روايته).

بعد ثلاث هرشات ونصف - تقريباً - انفجرت أسارير طلبه، وارتسم على شفثيه شبح ابتسامه مآكره، وبدا وكأنه وصل إلى حل، وفوراً امتشق

قلمه الرصاص المشهور (أو الذى أصبح مشهوراً بعد كتابة هذه الصفحات من سيرته) وكتب على هامش الصفحة الأيسر:

«إن التداخل والتعقيد فى موقف الوفد المالى، يجعلنا أمام ضرورة الإلتجاء إلى حساب قيم اقتصادية ظاهرة، ومن ثم فإن حساب قيمة الأصول المملوكة لحزب الوفد هو أيسر السبل فى هذا السياق، وعلى رأس هذه الأصول صحيفة الوفد».

وإلى جوار هذا الهامش ثبت طلبه ورقه بدبوس إبره، بعد أن خط فيها خطاباً إلى الاستاذ جمال بدوى رئيس تحرير الوفد هذا نصه:

### جريدة الوفد

١ ش بولس حنا - الدقى - القاهرة  
جمهورية مصر العربية .

عزيزى الأستاذ/ جمال بدوى

تحية طيبة وبعد . .

تعلمون أننى بصدد ممارسة دور سياسى جديد بعد انهيار الشيوعية .  
وتعلمون - أيضاً - أن الانهيار المذكور قد تسبب لى فى خسائر فادحة على المستويين المادى والمعنوى .

ونظراً للقيمة الثقافية والسياسية التى أمثلها، والتى لا يتطرق لأى مثقف مصرى وطنى أى شك بشأنها، فقد اتفقت القوى السياسية الوطنية (أغلبية ومعارضة) بمبادرة منها (وضع طلبه خطين تحت العبارة الأخيرة) على أن تقوم بتعويضى عن دخلى الشهرى الذى فقدته بانهيار الشيوعية، وفق نسب عادلة تتوافق مع قدرات كل منها وإمكاناتها .

ووجدت هذه القوى - بمبادرة منها أيضاً - (كما ن خطين تحت العبارة الأخيرة) أن اسهام الوفد سوف يكون وفقاً لتقدير القيمة الاقتصادية لأصوله الثابتة وأهمها جريدتك الموقرة .

وبعد حساب مصاريف الطباعة والمرتبات وحساب دخل الإعلانات ، ونسبة التوزيع والاشتراكات ، استحق عليكم دفع مبلغ صافي ألف وسبعمائة وخمسين جنيهاً شهرياً لى نقداً أو بحوالة مصرفية على عنوان : جمهورية مصر العربية - القاهرة - حزب الترقى - المقر الرئيسى .

ومع عظيم امتنانى وتقديرى ، أرجو التنبيه على جهاز المحاسبات التابع لجريدتك الموقرة بالتنفيذ فى الموعد المقرر شهرياً بالضبط وإلا اضطرت - أسفاً - إلى اتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة .

مع تحيات المخلص

طلبه عبد الرحمن يوسف هريدى

\* صورة إلى فؤاد باشا سراج الدين رئيس الوفد .

\* صورة إلى الدكتور محمود أباطة رئيس لجنة الشباب بالحزب

(إذ يعتبر طلبه نفسه من الشباب من وجهة نظره مرة رابعة وأخيرة) .

.....

تبقى بعد ذلك مبلغ ألفين ومائتين وخمسين جنيهاً ، وقد رأى طلبه أن تقوم بسدادها السفارات ومراكز البحوث والمنظمات غير الحكومية .

ثم وجد طلبه نفسه أمام مشكلة جديدة ، إذ لا بد لعملية بهذا الحجم من توفر عنصرين رئيسيين :

١- تحديد المصالح .

## ٢- تحديد الأسلوب .

وتحديد المصالح يعنى أن يقوم طلبه بخلق مصلحة لكل قوة سياسية من القوى التى ستضطلع بالتمويل ، بحيث تكون مقتنعة بأن ما تدفعه هو مقابل متواضع لما سوف تحصل عليه من خدمات يؤديها طلبه عبر دوره السياسى الجديد معها .

وبالنسبة لتحديد الأسلوب فيعنى الوسيلة التى سيستخدمها طلبه فى اقناع هذه القوى بوجود الاستعانة به .

وأما عن تحديد المصالح فقد لخصه طلبه فى شكل مجموعة من المعادلات الرياضية على النحو التالى :

١- (الحكومة ضد التطرف) . . . إذن لابد من إقناع الحكومة بأهمية طلبه فى مكافحة التطرف .

٢- (الوفد ضد الحكومة) . . . إذن لابد من إقناع الوفد بأهمية طلبه فى مناوأة الحكومة .

٣- (الناصرىون ضد بعضهم البعض) . . . إذن لابد من إقناع كل ناصرى بأن طلبه ضد بقية الناصرئين .

٤- (الإسلاميون ضد الكل) . . . إذن لابد من إقناع الإسلاميين بأن طلبه يرفض الجميع .

.....

أما عن تحديد الأسلوب فقد كان ذلك أمراً شديداً التعقيد استهلك طلبه فى سبيله حوالى عشرة فناجين من القهوة السادة ، وست وثلاثين سيجارة ، قبل أن يهتدى إلى ضرورة إحياء وبعث أسلوب قديم ورد فى كلاسيكيات أدبيات العلوم السياسية ، بوصفه أنجح الأساليب وأكثرها فاعلية فى تحقيق

المطلوب ، وقد أطلق علماء السياسة على هذا الأسلوب تسميات عدة ، إلا أن طلبه عمد إلى اختيار التسمية الأقرب إلى عقل ووجدان المصريين وهى :  
«رمى الجته»!

.....

كل شىء - الآن - تمام .

خريطة القوى واضحة .. تحديد المصالح كامل .. تحديد الأسلوب تم .

ولم يبق سوى بعض الرتوش بشأن التحرك فى السفارات ومراكز البحوث والمنظمات غير الحكومية ، ثم يدشن طلبه انطلاقته السياسية الجديدة فى سماء الوطن .

لقاء مع السفير الأميركي

«فورد فونديشن» . .

وضع طلبه سبأته على السطر، فيما كان يستعرض قائمة بأسماء مراكز الدراسات، ومؤسسات البحوث العاملة في الوطن، والمرشحة لأن تكون ساحة من ساحات تحركه المقبل، والمرشحة - كذلك - لأن تكون مصدراً تكميلياً لتمويله وتعويضه عن خسائره المادية، فيما بعد انهيار الشيوعية .

ليست هذه أول مرة يصادف فيها طلبه هريدى اسم فورد فونديشن، فقد لاحظ منذ زمن بعيد الأهمية القصوى، والاعتبار الكبير الذي يوليه الباحثون والخبراء من المصريين لهذا الاسم .

.....

هز الشاعر رأسه، وتمتم : «اللهم صلى على النبي . . فورد ولا أحد غيره سيكون المدخل إلى كل المجتمع الأكاديمي والبحثي في مصر المحروسة» .

لم يكن طلبه على يقين، أو - حتى - على بينة حول ما تعنيه فورد فونديشن، أو مصادر قوتها ومنابع نفوذها في الدوائر البحثية في مصر، وقد ظن في البداية أنها مؤسسة مصرية خيرية كالجمعية الشرعية مثلاً تُعنى بـدفن الموتى، وإقامة مواعيد الرحمن في شهر رمضان المعظم، كما تُعنى بالرش على الفقراء والسابلة من الخبراء والدارسين والمهتمين (إذ لا يمكن لأى عين مهما بلغت درجة غفلتها أن تتجاهل درجة الإسراف العاطفى التى وصل إليها



الخبراء والباحثون في علاقتهم بالفونديشن والتي لا بد أن يكون لها مسبب مادي أو تمويلي يأخذ شكل الرش المنتظم، أو الموسمي حسب مقتضيات الحال).

ولم تقتصر صورة فورد فونديشن في ذهن طلبة، على هذا الفهم لدورها ووظيفتها، ولكنها امتدت إلى آفاق جديدة أكثر تشابكاً وتركيباً.

فقد كان الشاعر يظن أن هذه المؤسسة مملوكة لرجل من أهل البر والإحسان يدعى فريد، وأن جموع الباحثين والخبراء والدارسين أطلقت عليه اسم «فورد» على سبيل التذليل ومن فرط الوجد والمحبة والرغبة في النفاق والملق.

لم يستسلم طلبة لتصوراته وظنونه طويلاً، فالمشروع الذي هو بصدد إطلاقه، والدور الذي هو بصدد الاندماج فيه يحتاجان أول ما يحتاجان إلى الدقة ثم الدقة ثم الدقة.

أدار قرص التليفون طالباً صديقه ياسر منصور الصحفي في جريدة الجمهورية، وتأبط الحرص والحذر وهو يكلمه بهمس، وبلغه أقرب ما تكون إلى الشفرة: «ياسر . . قابلني في حديقة نقابة الصحفيين بعد ساعتين . . الموضوع مهم ويتعلق بالسيكوسيكو . . سلام!!»

كانت «السيكوسيكو» كلمة يستخدمها طلبة مع صديقه ياسر منذ انبهار الشيوعية، وتعارفاً على كونها تعنى الدور السياسي الجديد، والحقيقة أن ياسر منصور لم يك - يوماً - شيوعياً، بل ولم يك - يوماً - سياسياً، ولكنه كان صديقاً وفاقاً لطلبة، يحبه ويعطف عليه منذ كانت والدة طلبة تذهب لمنزل المستشار منصور عبد الرحيم (والد ياسر) لتساعد سيدة المنزل في تسييح

الزئيد، أو فتل الكعك، وتحمل إليها برطمانات «المفتقة» ممتدة المفعول من صنع يديها، ثم تنصرف بعد أن تعطيها والدة ياسر ما تيسر من نقود، أو ملابس مستعملة، أو كتب مدرسية قديمة لابنها طلبة.

وكان ياسر يرى أن نجاح طلبة في القيام بدور سياسى جديد، ولو - حتى - باستخدام أسلوب رمى الجثة، سوف ينقذ الشاعر من انهيار عصبي محقق، كما سوف ينقذ ياسر من عمليات حرم المخ المكثفة التى يمارسها طلبة معه، فى المكالمات الهاتفية، أو اللقاءات السريعة ذات الطابع المريب، والتى هى وليدة الفراغ المعنوى والمادى الذى سقط فيه طلبة من حائق بعد انهيار الشيوعية. (لا يعرف طلبة ما إذا كانت كلمة «من حائق» مناسبة فى هذا السياق أم لا. لكنه يرى أنها كلمة وجيهة تسبغ قدراً مناسباً من الاحترام بغض النظر عن كونها تعنى شيئاً).

.....

ارتشف طلبة رشفة من شأى نقابة الصحفيين الردىء والذى يثير فى النفس الإنسانية شعوراً صوفياً بالاقتراب من السماء، يتفجر فى نفوس الشارين بعد أن تبلغ القلوب الحناجر، وهى ظاهرة حار الطب فى وصفها طويلاً، ثم وُصفت فى القواميس والمعاجم ودوائر المعارف الطبية بأنها : «حالة عضوية / نفسية يصاب بها المهنيون المشتغلون بالكلمة لدى تناولهم مشروباً أسود ساخناً مجهول التركيب الكيمىائى فى حديقة نقابتهم» .

استعد طلبة لمفاتحة ياسر فى الأمر بأسلوب لا يخلو من خطورة ورهبة، وقرر أن يلقى فى وجه صديقه بسؤال مباشر كالقنبلة :

« أبو اليسر . ماذا تعرف عن فورد فونديشن؟ »!

أجابه ياسر بدهشة :

«هى مؤسسة أمريكية خاصة بتنشيط التعاون العلمى والتكنولوجى بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول العالم الثالث، ولها مكتب فى مصر يديره سليم نصر، ومكانه هو عمارة إيزيس، وتنتسب المؤسسة فى اسمها إلى هنرى فورى صاحب شركة السيارات المعروفة باسمه، ومن ضمن المؤسسات التى تدعمها الفونديشن فى مصر: جامعة القاهرة، كما تقدم قروضاً لبعض أهالى الصعيد، كما تشارك اليونيسيف فى مشروع لتنمية دخول الأسر الصغيرة...».

ثم استطرد ياسر:

«ولكنى أسمع، ولعلك تسمع، بعض الشائعات الخاصة بفوردي، والتى لا يمكن التعويل على قيمتها، أو أهميتها، كأن يقال إنها إحدى وسائل جمع المعلومات التفصيلية عن مجمل النشاطات السائدة فى مجتمع من المجتمعات، أو إنها تقوم بتدوير فائض الطاقة العلمية لخدمة أهداف غير وطنية، أو إنها مؤسسة ذات أهداف مريبة».

صاح طلبه صيحة هزت شارع عبد الخالق ثروت من أقصاه إلى أقصاه قائلاً: «الله أكبر . . أموت فى الأعمال المريبة!».

بلغ الانفعال مبلغاً هائلاً من طلبه، بعد أن أحس أنه وضع يده - بالصدفة - على مدخل قد يفضى به إلى علاقة مع الأمريكان شخصياً، وهو الأمر الذى ينبئ بأفاق هائلة لدوره الجديد المرتقب.

ووسط انفعالاته المشتعلة، ألقى بنظرة تلصصية - اعتادها منذ زمن طويل - على حقيبة ياسر التى أسندها بجوار كرسيه فى الحديقة، فوجد بطاقة دعوة تطل من جيبها وعلى طرفها قرأ بعض عبارات أفادت بأنها دعوة من

السفير الأمريكي مستر إدوارد ووكر لحفل استقبال يقيمه في مقر السفارة الأمريكية بشارع أمريكا اللاتينية في جاردن سيتي .

«هي فرصة العمر» همس طلبه لنفسه ثم قبل يده ظاهراً وباطناً، بعد أن أحس أن السماء كانت شديدة الكرم معه في هذا اليوم، وبسرعة رسم خطته السافلة، للاستيلاء على بطاقة الدعوة.

كان الأستاذ سلامة أحمد سلامة يصعد الدرج الرخامي المؤدى إلى المبنى، في هذه اللحظة، لحضور اجتماع مجلس النقابة، فالتفت طلبه إلى ياسر مباحثاً إياه بلهجة مؤنبة: «كيف لا تقف على حيلك وتذهب للترحيب بالأستاذ سلامة؟.. لقد طرح الرجل في عموده اليومي عدة آراء شجاعة ومهمة تستحق جميعاً التحية، وأن نذهب لشد أزره ورفع معنوياته» .

أحس ياسر بالعار والخجل من تقصيره تجاه الأستاذ سلامة أحمد سلامة، فهب واقفاً وأسرع تجاه الأستاذ ليبلغه إعجابيه وموازرته، وفي لمح البصر كان طلبه قد التقط بطاقة الدعوة من حقيبة ياسر ووضعها في جيب سترته الداخلي .

ولما عاد ياسر، وقبل أن يستقر على كرسيه، كان طلبه قد نهض، وبرطم في نصف اهتمام: «أستاذن يا أبا اليسر . . سلام»!

.....

مبنى السفارة الأمريكية في جاردن سيتي قلعة تتألاً بالأضواء، وتستعد لاستقبال ضيوف مستر ووكر، ضابط المرور وجنوده يتصايحون على سائقي سيارات أعضاء السلك الدبلوماسي من المدعوين لحفل الاستقبال لإخلاء الطريق، والاتجاه إلى منطقة انتظار السيارات المحددة، بينما ونش إدارة المرور

يعمل نشطاً في إقضاء سيارات المواطنين على امتداد الشارع، فيما تضوى اللمبات الحمراء والزرقاء فوق سطح الونش .

طلبه يدلف إلى السفارة مبرزاً بطاقة الدعوة، وناظراً بخوف أجرب، إلى رجال الأمن داخل المبنى، حيث الساعات تتدلى من أذانهم، وأماكن الطبنجات تبرز من تحت ستراهم، وأعينهم لا تكل البحلقة في وجوه الجميع وفي كل الاتجاهات .

صعد طلبه إلى المدخل ونظر مشدوها مبهوراً، كانت الدنيا هايسة، وفساتين السهرة تلمع وتبرق تحت الأضواء، والرجال بالحلل السوداء منهمكون في أحاديث لها طنين خفيف يوحى بالأناقة والخطورة معاً .

طلبه لم يك يريد إضاعة الوقت، فهو، يبغى الوصول إلى هدفه مباشرة، سعادة السفير، ولا أحد غيره .

اقتنص نادلاً يحمل صينية فاخرة رصت عليها أكواب الشراب وسأله :  
«أين سعادة السفير الله يبارك لك»، فأشار النادل إلى شخص طويل يقف وسط مجموعة من الرجال المهمين يتحلقون حوله، وأردف النادل : «ها هو، وحوله من اليمين مسيو باتريك لوكير السفير الفرنسي، وكريستوفر لانج السفير البريطاني، والسفير الإيطالي ويليو تشيني برتولى والدكتور نيكولاس فان دام السفير الهولندي، والسفيرة الهندية - بالسارى على الشمال - أروند دانت جوس» .

ثم أشار النادل إلى رجل قصير ذى ملامح آسيوية لا يكف عن الحركة في المكان قائلاً : «أما هذا فهو السفير اليابانى كاتو كورا» .

(لاحظ طلبه أن السفير اليابانى ينظر إلى مستر ووكر مرقصاً حاجبيه، ومردداً بعض كلمات باليابانية، فلما سأل طلبه النادل عن معنى هذه

الكلمات أجاهه: «إننى لا أعرف اليابانية، ولكن يرجح أنها تعنى «ها تجوز عمتك»».

شق طلبه طريقه بصعوبة نحو مستر ووكر، حيث كان سفير السودان الطيب الكرديانى قد أمسك بتلابيب بعض الصحفيين محاولاً إقناعهم بأن الناس فى السودان سعداء، والأكل كثير، ومعدلات النمو فائقة السرعة!

ما إن وقف طلبه على مقربة من مستر ووكر، حتى غمز له بعينه غمزة ذات مغزى مشيراً بيده إلى أنه يريد الاختلاء به قليلاً، ورغم أن مستر ووكر أحس بارتباك شديد إزاء هذا الشخص الذى لا يعرفه، إلا أنه تصرف بكياسة معتزلاً لضيوفه ومنسلاً فى براعة.

دخل طلبه فى الموضوع مباشرة فقال: «كما تعلم سعادتك، فقد كنت شيعياً، وأثرت كثيراً فى موقف الجماهير المصرية إزاء الولايات المتحدة، ونظراً لانهار الشيوعية، فأنا أطرح عليك أن نفتح صفحة جديدة وعفا الله عما سلف، ويا بخت من قدر وعفا».

كان مستر ووكر ينظر طوال الوقت باستغراب شديد لحركات يدي طلبه، وتعبيرات وجهه، وعلى الرغم من أنه يتقن العربية مذ درس فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة قبل أن يحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة، إلا أنه يفضل استخدام الإنجليزية إذا استشعر أنه بإزاء موقف سياسى أو دبلوماسى يقتضى الدقة، فقال:

« What's the matter with you ?! »

ظن طلبه أن كلام السفير يعنى موافقة مبدئية على العرض الذى قدمه إليه فأضاف فى سرعة:

«إننى أعلم أن الوقت والمكان غير مناسبين، ولكن الموضوع لا يستطيع الانتظار، ولذلك دعنى أحدثك فى التفاصيل مباشرة. بصراحة أنا بتاعك. . وكل ما هنالك أنك إذا أردت منى شيئاً فلن تتكلف إلا تليفون صغير تجربيه سكرتيرتك أو أحد معاوينك، وسأكون عندك فى دقائق وتحت أمرك» .

ثم أردف بعد أن غمز بعينه غمزة أخرى ذات مغزى : «أما بخصوص المسائل فأنا أفضل ألا تشغل بالك بها، وتتركها كاملة إلى مستر جون ويسلى مدير هيئة المعونة الأمريكية فى مصر، والذي فهمت أنه مختص بموضوع الفلوس بشكل عام، وبالطبع - فى هذا السياق - سيلزمنى كارت من سعادتك إلى مدير مكتب فورد فونديشن فى مصر لإقناعهم بضرورة المشاركة فى تمويل دورى السياسى الجديد تحت رعاية سعادتك وإشرافك. . .» .

وقبل أن يستطرد طلبه مزيدا من الاستطراد، كان وجه مستر ووكر قد احمر وبدت عيناه الزرقاوان أكثر زرقة، وهى تتشعلق بسقف القاعة، فى ضراعة حقيقية، بينما تتمتم شفثاه : « Crazy! » .

ظن طلبه أن كلمة السفير تعنى تأكيدا على الموافقة فواصل حديثه :

«بالطبع فإن مساندتك لى سوف يكون لها أبلغ الأثر فى اهتمام الدوائر الحكومية والحزبية بشخصى، وخصوصا إذا أبدى مستر جون ويسلى مساندة «قلبية» ظاهرة تجاهى، إذ تعلمون يا سعادة السفير مدى الثقل المعنوى الذى تتمتع به كلمة «المعونة» فى بلادنا، بحيث يفهم الجميع أن استمرار المعونة يمكن أن يتأثر، إذا لم تتم مساندتى بفاعلية كافية» .

وقبل أن يواصل طلبه كان مستر ووكر قد أشار بيده، ووجه كلمة إلى شخص يقف إلى جواره : [ Security .. ] .

ولم تمض ثوان حتى كانت مجموعة من الرجال الذين رأهم طلبه في المدخل يحملونه مرابعة إلى الخارج ، وقد ظن أن هذا تكريم إضافي من السفير تجاه واحد من أهم ضيوفه فلوح له بيده مبتسماً ، ولم ينس أن يغمز له بعينه غمزة أخيرة ذات مغزى !!

.....

خرج طلبه إلى شارع أمريكا اللاتينية والنسمات الباردة تلمح وجهه ، وقلبه يرقص من الفرح ، فقد بدأ اليوم طريقه الحقيقي نحو دوره الجديد تحت رعاية القوة الأعظم الوحيدة في عالمنا ، وبمباركة وتأييد النظام العالمي الجديد ، ولم يبق أمامه سوى أن يشكل تنظيمه أو جهازه الذي سيصبح مركز الثقل الحقيقي في الحياة السياسية والثقافية في مصر.



الحسابية الجديدة  
ومبدأ الهرش

رزين الهاتف يجلجل في مقر حزب الترقى، القاعات الخاوية تبه  
وهى تستقبل هذا الرزين الأول من نوعه منذ ثمانية شهور.

الصور المعلقة على الحوائط لجيفارا لينين وستالين وهنرى كورييل  
أم ششبه تبدو وكأنها تتراقق في استعجاب من صوت الهاتف .  
بعضها يهمس للآخر : «مؤكد شخص طلب نمرة غلط . . أو ربها  
تليفونية حقيرة . . قلة أدب».

رجل عجوز يرتدى حلة قديمة لكمسارى ويمسك في يده بفوطنة  
يهرول إلى الهاتف الذى غطاه التراب، ونسج العنكبوت عليه خيوطاً  
الساعة إلى قرص الأرقام.

«ألوو . . أهلاً يا أستاذ طلبه . . تعيش وتفتكر يا فنان يا عظيم  
سيد بيومى الساعى . . لا يا فندم ما حدش ببيجى الحزب خلاص .  
الحزب تلاقيه فى نادى الجزيرة فى ملعب الكروكيه . . والأمناء المس  
بيقبلوا عيشهم ربنا معاهم . . رأفت فتح سوبر ماركت . . وسعد  
مكتبة . . ورؤوف فتح كشك سجاير . . وبقية الأعضاء بيشربوا بيدر  
النهار فى البار اللى فى شارع سليمان باشا لما بيتعدموا العافية . . لا يا  
طلبه . . عضوات «تنت» ما بيروحوش البار «دول عقبال أملتك فتح  
أزياء فى الروضة اسمه بيت أزياء كليتون . . أنا بس اللى بأجى المقر .

حتى بافكر أجيب العيال وأمهم ونقعد فيه . . . خيلنا نقب على وش الدنيا يا أستاذ طلبه . . . واحنا برضه ياما خدمنا الحزب وعمرنا ما أتأخرنا عليكو في الطلبات . . . فافر القرفة اللي كنت بأعملهاك بيأيدى يا أستاذ . . . هاهاهاى . . . والنبي كانت أيام زى العسل . . .» .

كان طلبه يتلقى الأخبار التي تطوع بها عم سيد بنفاد صبر واضح ، وبنبره حازمة قرر أن يقطع استرسال الساعى في سرد ذكرياته السخيفة عن أمجاد الماضى ، وبصفة عامة فهو لا يرتاح إلى سيد بيومى هذا ، وتساوره شكوك - الآن - أن هذا الرجل شيوعى !!

« اسمع يا عم سيد ، أود أن تذهب إلى الأتيليه ، ومقهى زهرة البستان ، وتبحث عن ماهر ونور وسيف بأية طريقة ، وإذا وجدتهم ، أريدك أن تُسر في أذن كل منهم على انفراد بأننى أريدهم عندى فى البيت اليوم فى الخامسة بعد الظهر لأمر شديد الأهمية ، فاهم يا عم سيد ، شديد الأهمية» .

أغلق طلبه الساعة بسرعة ، وكأنه يود التخلص من صوت سيد بيومى المزعج ، ويسد عليه الطريق أمام أية أسئلة فضولية مردولة سمجة .

بدأ طلبه فى إعداد المكان للاجتماع المنتظر ، وكان قد نزل صباحاً للتسوق وشراء احتياجات الاجتماع ، زجاجتى ويسكى فاخرتين (إذ انتهت الأيام التي كان يعيش فيها بشخصيتين وأصبح دوره السياسى الجديد يقتضى الإفصاح عن بعض مظاهر الأبهة والشياكة وأولها زجاجتا الويسكى الفاخرتان) ، ثم ضمت قائمة التسوق أيضاً بعض شرائح من السالمون المدخن ، وبعض شرائح أخرى من الجبن الإيمنتال ، وبطارخ بلدى من النوع الذى يهز القناعات الثابتة فى نفس وعقل أى إنسان ، وبعض الفستق المملح الذى يعصف بالقناعات المذكورة عصفاً كاملاً ونهائياً ، وأخيراً ضمت قائمة

التسوق ثلاث حلل أنيقة، وثلاثة قمصان، وثلاث رابطات عنق، وليفة كبيرة، وثلاث صابونات!!

.....

اختار طلبه غرفة السفارة كمكان للاجتماع، واعتنى بوضع أوراق فولسكاب أمام أربعة مقاعد متواجهة، وألقى في كوب فارغ بمجموعة من الأقلام الرصاص وأقلام الفلوماستر، كما وضع علبة مناديل ورقية للجميع، وزجاجة مياه معدنية ومعها أربعة أكواب من الكريستال في صينية تتوسط المنضدة.

أما في الصالون فقد وضع زجاجتى الويسكى، وبضعة أطباق صغيرة من الفخار تحتوي حبات الفستق المملح ذى الخاصية الفريدة - السابق الإشارة إليها- في العصف الكامل والنهائي بالقناعات الثابتة.

أشعل طلبه سيجاراً كوبياً فاخراً، وفتح جهاز التلفزيون، ومد ساقيه على منضدة صغيرة أمامه، وأخذ يتأمل حلقات الدخان المتصاعد في سماء الغرفة، مفكراً- بعمق واندماج- في ملامح جهازه الخاص، الذى هو بصدد تكوينه اليوم، لبدأ التحرك الفعلى سعياً وراء الدور السياسى الجديد.

كان ماهر عبد الهادى، ونور أحمد السعيد، وسيف صلاح الدين، من أخلص أصدقاء طلبه في حزب الترقى، وقد نمت علاقته بهم منذ رياعين الشباب الغض المبكر في قرية شتتا الحجر، وترافقوا جميعاً في مسيرتهم الحزبية والنضالية، وهم جميعاً موهوبون كجماعة، ولكن مواهبهم هذه لم تأخذ شكلاً فردياً واضحاً كالذى اتخذته موهبة طلبه الساطعة والأكيدة.

كل منهم كان بارعاً في التخديم على رجل مبدع كطلبه، ولكن أياً منهم لم يك قادراً على أن يمارس إبداعاً من أى نوع.

وقد أنفق كل من الثلاثة سنوات طويلة من حياته في تدبيح المقالات النقدية عن أشعار طلبه، وفي نشر هذه المقالات في الصحف العربية السيار، التي يسيطر على الأقسام الثقافية فيها صحفيون يتمون، إلى نفس التيار السياسى، وإلى نفس المزاج الفكرى.

ولم يك أى منهم يتوانى لحظة عن القيام بعمليات الحشد لحضور ندوات طلبه الشعرية، أو الاشتباك مع خصومه - الشعارين بالحقد والإحن على موهبته الدافقة - فى المقاهى الثقافية، وجلسات السمى، ولم يك أى منهم - كذلك - يتأخر لثانية عن أى طلب للرفيق طلبه أياً كانت غرابته، أو وضاعته.

كانوا جميعاً أشبه بالأقمار الاصطناعية التى تدور فى فلك كوكب كبير، لا يتعدون عنه إلا بمقدار ما يسمح ويريد، أو بمقدار ما يرغب فى إعطاء ظهوره مساحة منفردة متميزة لا يشاركه فيها أحد.

«اليوم يعودون إلى مدارهم الطبيعى» قالها طلبه وهو يتسهم ابتسامته الماكرة، قبل أن يقطع استرساله صوت انبعث من جهاز التليفزيون، فانتفض صعقاً يمسك بالريموت كونترول ويضغط على زر يزيد قوة الصوت.

ثلاث بنات كالقشدة يتأيلن فى خلاعة بادية، وينثنين وينفردن ويتقصعن بيننا تضع كل منهن يديها فى وسط له خواص الملبن غير المحشى، فيما ينشدن فى حماس:

«يا واخذنى تحت باطك يا حيبى

يا قسمتى وحبى ونصيبى

أنا جوه الأوده

ح أليس لك موده

من عند كليتون

الى فى الروضة

ياى . . ياى . . يااه

ياى . . ياى . . يووه» .

ثم يقطع الرقص صوت رجالى جهورى خشن يتحدث فى خطورة قائلاً :

«بيت أزياء كليتون ٧ ش يوسف الدجوى بالروضة . . .

جمالك الى جوه . . من كليتون الى هوه» .

احتقن وجه طلبه فى غضب ظاهر، بينما احمرت عيناه حتى بدتا مثل

كأسين من الدماء .

«الفاجرات فتحن بيتاً للأزياء، ولم تفكر إحداهن فى السؤال عنى منذ انهارت الشيوعية وحتى اليوم، لعمري لم أك مقتنعاً بأشتغال النساء فى العمل السياسى، ولكننى كنت أخشى اتهامى بالرجعية، على أية حال أثبتت التجربة أنهم - جميعاً - لا يصلحون، الآن يفتحن بيت أزياء كليتون، أين النضال المستعر؟! أين الكفاح المشتعل؟!، أين يا حبيى يا طلبه؟، وماذا فعل بك الكلاب؟، ودبابات الدنيا لن تمنع وصول صوتك إلى الجماهير؟! . . . سوف أريهم من هو طلبه وستعض كل منهن أصابع الندم مرات ومرات على كل هذه التصرفات التى تتسم بقلة الأصل، وسيأتين إلى زاحفات على البطون يطلبن الرضا والعفو» .

مرة أخرى يتقطع استرسال طلبه، برنين جرس الباب، نظر فى ساعته

فوجد عقاربها تشير إلى تمام الخامسة، قال فى سره وهو يذهب لفتح الباب :

«والله الأولاد مازالوا منضبطين» .

دخل رفاق طلبه تسبقهم علامات استفهام حيرى، وفي عيني كل منهم ألف سؤال عن سبب الدعوة، وسر عجالتها.

دخل طلبه في الموضوع مباشرة ليمنع أى استرسال في هذه الحالة الاستفهامية، التى قد تنبىء - بحكم طبيعة حالة التساؤل - باستقلالية غير مفهومة وغير مرغوبة لدى الرفاق الحائرين، الذين يتساءلون، فى جنون.

«أنا اليوم بصدد بناء دور سياسى جديد، وبمعنى من المعانى سوف يكون هذا الدور هو طوق النجاة لكم، الذى يتشلكم من حالة البطالة والكساح التى وجدتكم أنفسكم أسرى لها.

سوف نكون ليبراليين يا أولاد !

المسألة - فقط - تقتضى تنظيف ملفاتنا، بمعنى التخلص من المفردات الماركسية المقرفة، وإحلال مفردات ليبرالية مكانها، يعنى - ببساطة - نلقى فى صندوق الزباله بكلمات مثل الديالكتيك والقيمة الفائضة والكومبرادور، ونحل محلها كلمات جميلة ومضيئة مثل : المجتمع المدنى وحقوق الإنسان والليبرالية .

هل فهمتم يا حلويين؟! .

تجمد الرفاق الثلاثة فى مقاعدهم بينما كانت أصابع أحدهم تعبت بطرف قلم رصاص على المنضدة، وران على الجميع صمت غير الفاهمين، فواصل طلبه شرحه فى اندفاعه شلال دافق :

«لا بد - أولاً - من إعادة قراءة وتفسير أشعارى ومقالاتى السابقة بمرجعية ليبرالية، بدلاً من المرجعية الماركسية البالية، وبالطبع قد تواجهكم بعض صعوبات منهجية - بالذات - فى قصيدة [فناجين القهوة البعيدة] التى ذكرت

فيها كارل ماركس وتروتسكى صراحة وبالاسم، ولكن قليلا من إعمال الخيال سيؤدى بنا إلى التغلب على مثل هذه الصعوبات ما إذا استبدلنا الاسمين باسمى د. سعيد النجار، ود. سعد الدين إبراهيم».

وواصل طلبه، بينما بدأت أسارير الرفاق فى الانفراج قليلاً بعدما فهموا الخطوط العريضة لنظرية الأستاذ الجديدة:

«كذلك لا بد من فهم مختلف للحساسية الجديدة التى أصبحت تعنى تياراً جديداً يتشكل أهم سماته العامة هى تبنى رؤية مغايرة لمجمل الرؤى التى كانت سائدة فى حزبنا وأيديولوجيتنا وإداعاتنا، فعلى حين كانت الكتابة المستقرة التقليدية - التى أصبحت الآن تعنى الكتابة الشيوعية - تبدأ برسالة يريد الكاتب أن يقوم بالبرهنة عليها بواسطة عمله الفنى، فإن أصحاب الحساسية الجديدة لا بد أن يسعوا لاكتشاف رسالة عبر أعمالهم الليبرالية الجديدة.

الحساسية القديمة، هى حساسية الجربانين، الذين لا يفتأون يمارسون الهرش كلما انتابتهم حالة إبداعية.

أما الحساسية الجديدة فهى حساسية الكرافتات والقمصان والحلل الفاخرة، حساسية الكولونيا والديودورنت والمزاج العالى».

بدت نظرات الرفاق بعد الفقرة الأخيرة، مسترربة متوجسة، فيما قرر طلبه أن يقطع الشك باليقين، ويطعن فى مقتل.

«بصراحة.. يجب أن تتوكلوا على الخير الكريم، وتذهبوا إلى الحمام بالدور، لتستحموا حماما تتحدث عنه الركبان، قبل أى كلام عن دور سياسى جديد، ويجب أن تعلموا أن اقتناع الناس بأنكم أصبحتم ليبراليين يبدأ بهذا الحمام ولا شىء غيره».



انصاع سيف أولاً للأمر، فقد كان أكثرهم انسحاقاً أمام شخصية طلبه الطاغية والأسرة معاً، ومد يده ليتناول من طلبه الليفة والصابونة قبل أن يمضى إلى الحمام منكسراً وحزيناً، وخرج بعد ربع ساعة ليعطيه طلبه ملابسه الجديدة، ثم ينظر إلى نور نظرة مزججة ذات شرر، يقوم على أثرها في خطوات مترددة بينما تطبق قبضته على الفوطة والصابونة .

أما ماهر فقد كان أكثرهم مقاومة للأمر، وحاول أن يشرح لطلبه أن موضوع تخليه عن مبدأ الهرش، ودخوله إلى الحمام يعد انتحاراً سياسياً متكامل الأركان، وإلغاء لحقبة مديدة ومجيدة من تاريخه النضالي والسياسي، إذ لم يستحم ماهر منذ أزمة المجر، وهو لا يرى أن جديداً مهماً قد طرأ على الساحة، يقتضى منه كل هذه النقلة الفكرية، من دون تمهيد للقواعد، أو شرح يتم وفقاً لمبدأ المركزية الديمقراطية الذي تأسس عليه حزب الترقى .

لم يكن لدى طلبه وقت لمثل هذه السفسطائيات العبيطة، فقد أشار بإصبعه في اتجاه الحمام الذي كان نور قد خرج منه لتوه تتساقط من شعره نقاط الماء، فيما شاعت في المكان رائحة نظافة عبقرية و موحية .

لم يجد ماهر بدأً من الانصياع إلى قرار طلبه الذي أملاه من موقع تصميم كاسح، بحيث لا يستطيع أى نصف عاقل - حتى - أن يتصدى له بالمناقشة أو اللجاج ويضمن سلامته بعد ذلك .

.....

جلس الجميع في أبهى أشكالهم في الصالون يجتسون كؤوس الويسكى الأستكتلندي الفاخر، ويمزون بالبطارخ البلدى الغارقة في عصير الليمون البنزهير، بعد أن كان البواب قد جمع ملابسهم القديمة - بناء على تعليمات طلبه - لحرقها في الخرابة المجاورة .

قال طلبه : «سيف سيتولى مهمة التفسير الليبرالى لأشعارى ومقالاتنا السابقة، وماهر سينضم إلى جميع منظمات حقوق الإنسان على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، أما نور فسيكمل معى الاتصال بالمنظمات والمراكز والجمعيات التى تتبنى مفاهيم الليبرالية والمجتمع المدنى، كما سوف نتابع نتيجة اتصالاتنا بالحكومة والأحزاب والتشكيلات السياسية» .

.....

«والله زمان» ..

قالها الرفاق الثلاثة معاً وهم يهبطون الدرج مترنحين بعد سهرتهم مع الأستاذ، وكل منهم يشعر وكأنه وُلد من جديد .

باناڊي عليا

العبور من شارع البطل أحمد عبد العزيز في المهندسين إلى أى من الشوارع  
الجانبية المتفرعة منه، أشبه بالانتقال من مدينة إلى أخرى .

وحتى لحظة كتابة هذه السطور، لم يقدم أى من كتاب الوطن ومفكره  
وسياسيه أى تفسير مقبول أو مقنع لإطلاق اسم الفدائي العظيم على هذا  
الشارع بالذات، الذى تسوده مظاهر للحياة الاجتماعية، ويحفل بألوان من  
النشاطات التجارية والدكاكين، وتمارس فيه وعبره ألوان من السلوكات  
اليومية لا علاقة لها - البتة - بموضوع كفاح البطل المذكور .

بالطبع ليس مطلوباً من الناس حين يقطنون شارعاً يحمل اسم فدائي،  
أن ينزلوا كل يوم إلى أعمالهم حاملين الرشاشات والقنابل اليدوية، أو أن  
يجتازوا أماكن عبور المشاة من تحت سلك شائك، أو تنتظر الأمهات عودة  
أطفالهن من المدارس فى البلكونات حاملات الأعلام المصرية، وأجهزة  
كاسيت تذيع مارشات عسكرية .

ولكنها ملاحظة على ما نتصوره تكريماً، بإطلاق أسماء الأبطال على  
الشوارع، ونحن لا ندرى أننا بهذا نهين ذكراهم، حين يكون الشارع ليس  
على قدم مقام البطولة .

الضحيج صاحب ينبعث من محلات الكاسيت، ويؤثر على اتزان  
الجميع النفسى، ويربك إيقاع الخطو على الرصيف، الكل يهتز، فصيل

ترتبط اهتزازاته بهادونا ومايكل جاكسون وويني هيوستون، وآخر ترتبط اهتزازاته بعمر دياب وراغب علامة ولطيفة، وثالث يهتز على إيقاعات خليجية سريعة ومتكررة، ورابع يهتز من تلقاء نفسه ولأسباب - في الغالب - ليست موسيقية أو غنائية!

الأضواء تتلألأ، وتنعكس بألوانها الفاقعة على الجميع، وأصوات آلات التنبيه تضيء على المكان هوساً ملتاثاً يرفع مستوى العصبية الجماعية إلى نقطة حدها الأقصى.

صفقات من كل لون تعقد في الطريق العام، تبدأ بمساومة فتاة ليل، وتنتهي بمحاولة بيع كلب.

وحول هذا كله ثرات متناثرة، وصراخ أطفال، وأحاديث متقاطعة عن ساندوتشات الهامبورجر، والولد الذي يصر على شراء ثلاث بالونات مرة واحدة، والآيس كريم الذي سقط على ذيل الفستان المهدى إلى فتاة من أختها التي تعمل في الإمارات، والذي لم تلبسه سوى لبسة واحدة.

.....

ولكن حين تدلف إلى شارع عبد الحميد لطفى تشعر بأنك انتقلت - بالفعل - إلى مدينة أخرى.

بضع بنايات أنيقة، وأشجار باسقة على الصفين، وسيارات متراصة على جانبيه محيلة إياه إلى ما يشبه الجراج الخاص لسكان البنايات.

عربة زستافا كالحة لا لون لها - تقريباً - تتلأمتسكعة على هدى إضاءة جانب واحد من أنوارها الأمامية، ثم تجد لها مكاناً تنحشر فيه بصعوبة وسط السيارات المتراصة.

قائد السيارة يبذل جهداً مضنياً (كما هو واضح من حركته العصبية) في فتح بابها، ثم يحاول إغلاقه بعد خروجه منها بصعوبة أكبر استلزمت رقعته ثلاث رقعات متوالية وصاخبة .

الرجل يسير - في تردد - متوجهاً - إلى سيارة بيجو ٦٠٥ موديل ١٩٨٩ أخذت مكانها إلى جانب الطوار المواجه وأطفأت أنوارها تماماً، وحين يصل إلى بقعة مضيئة بجوار أحد أعمدة النور، تظهر ملامحه بوضوح، نور أحمد السعيد . . أحد العناصر الرئيسية في الجهاز الخاص لطلبه هریدی .

وبعد طول تلفت يميل نور على زجاج نافذة سيارة طلبه الذي كان مفتوحاً حتى منتصفه .

- «تمام يا أستاذ . . هذا هو عنوان جمعية النداء الجديد . . ١٤ ش عبد الحميد لطفى . . وباقي ربع ساعة على وصول الدكتور سعيد النجار» .

.....

اختيار جمعية النداء الجديد كساحة تضاف إلى الساحات التي يمد طلبه إليها خيوط التواصل، لم يكن صدفة على وجه الإطلاق .

فالنداء الجديد مذ تأسست كجمعية ثقافية تسعى إلى نشر الثقافة الليبرالية في السياسة والاقتصاد، ومذ أشهرت في وزارة الشؤون الاجتماعية بتاريخ [٣ أغسطس ١٩٩١]، وهي تقدم نفسها في المحافل العامة، ويقدم أعضاؤها أنفسهم في ذات المحافل بوصفها وبوصفهم، رموز الليبرالية الجديدة في مصر .

وإذا كان طلبه يود سحب غطاء ليبرالى على دوره السياسى الجديد، وخصوصاً بعد ما ينتظره من نتائج لاتصالاته مع القوى والتشكيلات

والأحزاب السياسية، وخصوصاً أكثر بعدما تصوره من نتائج لمقابلته مع السفير الأمريكى - فإن من المحتم عليه أن يدخل إلى ساحة هذه الجمعية، ويكتسب من خلالها قوة مضافة في ظهوره العام، ويكتسب - أيضاً - بعض الواجهة الاجتماعية الملائمة، بالإضافة إلى أنها ستكون قناة مناسبة لإقامة جسور علاقة مع بعض رجال الأعمال من أعضائها والمنتسبين إلى تجمعات رجال الأعمال المختلفة في البلاد، وفوق هذا كله فقد سمع عن تمويل للجمعية من U.N.D.P (البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة)، يعنى الموضوع فيه أموال أيضاً، وربما ينوبه من الحظ جانب، وبخاصة إذا نجح في إقناع د . سعيد النجار رئيس الجمعية بأهمية دوره السياسى الجديد في دعم التنمية البشرية التى تعد مسوغاً معتبراً للحصول على تمويل الـ U.N.D.P

أما عن التكلفة السياسية التى سينتجشها طلبه من جراء دخوله المقتحم لهذه الساحة، فإنها لن تتجاوز إجراء عرض علنى في «الإستريبتيز» السياسى أمام بعض الأعضاء الثقات في الجمعية، يعلن فيه تنكره لكل مبادئه السياسية السابقة، ويسب عناصر ثقافته السياسية الأولى على المسبحة، ولا بأس - بالإضافة إلى ذلك - من لعن أباحاش المواطن جمال عبد الناصر حسين بوصفه المسئول عن كل الكوارث التى حاقت بهذا الوطن، وكل الكوارث التى قد تحيق - بعيد الشر - به .

مد طلبه يده بجهاز اتصال صغير - من النوع الذى تستخدمه الشرطة وشركات الأمن الخاصة - إلى نور وقال له في همس :

«عليك بالاتجاه - الآن - إلى موقعك الذى حددته لك واستمر في المراقبة والاتصال . . صحيح أننى أخذت موعداً من إيمان سكرتيرة الدكتور سعيد، ولكننى أخشى أن يتملص من الموعد نتيجة معرفته بتاريخى السابق، وأنا لا أود أن أترك أية تفصيله للصدف أو الظروف أو الاحتمالات» .

حيا نور الأستاذ بتحية شبة عسكرية وهو يتسلم منه الجهاز، واتجه في خطوات نشطة ليختبئ وراء إحدى الأشجار، فيما كانت سيارة داكنة تأخذ وضعها في منطقة الانتظار ليخرج منها عملاق طويل ذو شعر ناعم اختلط فيه الأسود بالأبيض .

رفع نور الجهاز بالقرب من فمه بسرعة وبدأ الإرسال :

«ألو . . نور ينادى . . الهدف وصل . . الهدف وصل ويتجه بسرعة إلى البناية . . حوّل . .» .

وعلى الفور جاءت الإجابة إلى نور عبر ذات الجهاز:

«ألو . . طلبه ينادى . . يا حمار . . أولاً أنت تقف أمام البناية رقم ١٦ وجمعية النداء الجديد في البناية رقم ١٤ . . وثانياً يا حمار . . السيارة التي وصلت أمامك ريجاتا كحلى بينها سيارة د . سعيد النجار ستيشن بيجو بيج بنمر هيئة سياسية معارة من U.N.D.P . . وثالثاً يا حمار أيضاً الشخص العملاق الذي نزل أمامك هو مصطفى حسين رئيس تحرير مجلة كاريكاتير وهو يتجه بسرعة إلى مقر المجلة في البناية رقم ١٦ القريبة من الهدف لأنه جاء متأخراً على حوالى عشرة مواعيد ضربها لإناس لا يعرفهم . . فهمت يا حمار . . حوّل» .

«ألو نور ينادى فهمت يا أستاذ . . حوّل» .

ووسط هذا الجدل اللاسلكى المحتدم كان قول من السيارات الخاصة يتقدم في شارع عبد الحميد لطفى، ويضم ثلاث عربات فتحت أنوارها الأمامية العالية، وتوقفت جميعاً أمام البناية رقم ١٤، إحداها البيجو ستيشن المعروفة نزل منها د . سعيد النجار يحمل ملفاً ضخماً، والثانية سويفت نيبتي



نزل منها الدكتور وحيد عبد المجيد الذى يجرح نشرة الجمعية ، والثالثة لاداء  
سوداء نزل منها الدكتور أسامة الغزالى حرب مدير الجمعية يحمل حقييته  
السامسونيت الضخمة التى يصعب على إنسان أن يعثر فيها على أى شىء  
يريده .

تبادل الثلاثة بضع كلمات سريعة على سبيل الونس ، ثم مضوا إلى الدرج  
يصعدونه ، فيما كان د . أسامة يصلح وضع رابطة عنقه بيد واحدة ، بينما كان  
د . وحيد يضغط قنطرة نظارته الطبية على أنفه وهو يضحك بحبور على  
تعليق لم يسمعه للدكتور سعيد النجار .

نور يتحدث فى جهاز الإرسال :

« ألو . . نور ينادى . . هل هؤلاء هم المقصودون يا أستاذ؟ . . حوّل . »

وجاءته نفس الإجابة السريعة :

« ألو . . طلبة ينادى . . نعم هم المقصودون يا حمار . . اتبعنى إلى السلام  
الآن . . حوّل . »

فتحت إيمان عبده الباب ، بعد رنة جرس رقيقة وقصيرة تعمدها طلبه  
لإضفاء مزيد من الأناقة على جو اللقاء .

قدم طلبه نفسه إلى إيمان عبده السكرتيرة ثم تبعها ومن خلفه نور ، حيث  
أدخلتهم إلى صالون الجمعية الذى توسط مجلسه د . سعيد النجار وبعجواره  
د . أسامة الغزالى حرب ود . وحيد عبد المجيد ، وعلى مقعدين جانبيين  
جلس الدكتور حازم البيلاوى والدكتور محمود أباطة يتساران فى حديث  
طويل ، بينما أخذ الدكتور شريف لطفى موقعه على فوتيل كبير ، وجلست  
مجموعة غرفة التجارة المصرية - الأمريكية على أريكة بعيدة ، وتبين طلبه منهم  
محمد شفيق جبر وعمر مهنا .

صافح طلبه الجميع وهو يثبت عينيه في عيني كل منهم (وهي طريقة تأثير معروفة للإيحاء لكل شخص من الموجودين بأنه يقصده بالزيارة واللقاء بالإضافة إلى أنها تخلق لوناً من الألفة والتعاطف الشخصي بغض النظر عن وجود صلة أو معرفة سابقة، وقد كانت أول خبرة لطلبه بهذه الطريقة الجهنمية من خلال رحلات وفود حزب الترقى إلى موسكو وبوخارست وبودابست وبراغ، حيث كان الطرفان - الزائر والمضيف - لا يجيدان لغة مشتركة، ومن ثم يكتفیان في جميع فصول الزيارة، بالمصافحة العنيفة بكلتا اليدين، وتثبيت النظرات على العيون وبعد ذلك تبادل الأنخاب).

قال د. سعيد النجار:

« أهلاً يا أخ طلبه . . ماذا تفعل الآن؟ ».

التقطت أذن طلبه كلمات السؤال بالحساسية اللازمة، وفهم الشاعر أن السؤال يعني الإشارة إلى حالة الضياع التي يفترض الدكتور سعيد، أن طلبه سقط فيها، بعد انهيار الشيوعية، فعقد طلبه العزم على أن يدخل في الموضوع لكي يفوت الفرصة على أية تحرشات جانبية، وليضع الدكتور سعيد النجار - منذ البداية المبكرة - أمام حقيقة التغير الضخم الذي حدث في الموقع الفكري لطلبه والذي يمارس النقاش من خلاله الآن :

«دكتور سعيد . . حقيقة إن الليبراليين من أمثالنا . . »

فغر الدكتور سعيد النجار فاه وهو يستمع إلى طلبه بذهول وقبل أن ينبس ببنت شفاه، كان طلبه يواصل مثل الديزل :

« . . لا بد أن يتكاتفوا جميعاً في مواجهة التحديات التي برزت - بقوة - خلال الآونة الأخيرة . . وبداية أود التنويه عن أن تاريخي السابق لا ينبغي أن يقف حجر عثرة أمام ارتباطي بالتيار الليبرالي، أو انضمامي للجمعية الموقرة، ففي الواقع لقد جئت لأنوب على يدك عن الشيوعية ».

وهنا تدخل الدكتور أسامة الغزالي قائلاً :

«التوبة لا تكفى يا أستاذ طلبه . . هذا أمر ليس هناك أسهل منه في الغرف المغلقة . . إذا أردت التوبة النصوح الحقيقية فينبغى أن يكون ذلك على شريط فيديو يذاع على الناس . . ونسميه شريط «الشيوعى النائب» .

أمن الدكتور سعيد النجار بفرح فخور على كلام الدكتور أسامة ، ونظر إلى طلبه كمن ينتظر رد فعله على موضوع الشريط .

إلا أن طلبه راوغ الجميع وأعطاهم إجابة غير متوقعة :

«أنا على أتم استعداد لموضوع الشريط بل وعلى استعداد لتقديم عرض حتى Life Show أمام أى مجموعة تريدون من المفكرين المصريين أو الأجانب» .

ثم أردف :

«ولكن هذا ليس بيت القصيد، فقد جئت إليك بمجموعة من المقترحات لتنظيم عمل الجمعية فى المرحلة المقبلة أرجو أن تسمح لى بعرضها عليك منفرداً» .

كان طلبه يعلم أن الدكتور وحيد عبد المجيد رجل جوانى وحويط ، ولن يقدم أى رد فعل علنى على مقترحاته سوى الضحك الذى يتراوح بين الابتسامة الخفيفة والقهقهة المجلجلة ، أما الدكتور أسامة الغزالي فهو رجل ذو طموح سياسى جامع وله حسبته المعقدة ، ولن يتجاوب مع مشروع طلبه إلا بعد دراسة متأنية ومستفيضة لمدى تطابق بنود مشروع طلبه على مشروعه الشخصى الطموح .

وبالنسبة للدكتور شريف لطفى فهو رجل مؤمن بنقاء العضوية في هذه الجمعية وسوف يرى - بالضرورة - أن الجمعية لا تحتاج إلى مثل هذه الإضافات الرثة، أما جماعة الغرفة المصرية - الأمريكية فلن يلفت نظرها في الموضوع برمته سوى حكاية اللقاء مع السفير الأمريكى، وأخيراً فإن د. حازم البيلاوى ود. محمود أباطة مازالا يتساران وسيظلان كذلك حتى نهاية القعدة.

ومن ثم فإن الانفراد بالدكتور سعيد النجار قد يصل بطلبه إلى مراده ومناه من دون الدخول في تفريعات بائخة.

قام الدكتور سعيد من مكانه ليختلى بطلبه حيث جلس، وأخرج طلبه من حقيبته ملفاً من البلاستيك فيه أوراق بدأ بعرضها على الدكتور النجار وهو يهمس:

«أولاً: لابد من اعتماد نشيد للجمعية يحقق لوناً من وحدة الشكل أمام الجماهير، ويشعر الأعضاء بالولاء والانتماء وخصوصاً بعدما سمعنا - جميعاً - عن أن بعض المارقين قدموا استقالاتهم في عام ١٩٩٤، وأنا أقترح رائعة فريد الأطرش «بانادى عليك» لتصبح نشيداً معتمداً لجمعية النداء الجديد، على أن يقوم الدكتور مصطفى ناجى أو المايسترو سليم سحاب بعمل توزيع أوركسترا لى جديد لها، وعلى أن يلتزم أعضاء الجمعية بالغناء الجماعى للنشيد فى كل المناسبات وخصوصاً الجزء الأول الذى كان المرحوم فريد الأطرش يتأوه فيه، إذ أن التأوه - بمعنى من المعانى - يرتبط برسالة الجمعية فى تحرير الإنسان من عناصر تأوّه».

كانت كل علامات الدهشة المشوبة بالإشمئط قد ارتسمت على ملامح وجه الدكتور سعيد النجار، بينما تزايد إصرار طلبه على عدم منحه فرصة واحدة للاعتراض، أو المناقشة، فواصل فى سخونة فواره:

«وثانياً: لابد من التخلص من كل أعداء الجمعية دفعة واحدة، وبالذات هؤلاء الذين احترقوا التلسين على الجمعية وإغتيالها، ورميها بالباطل، وكذلك هؤلاء الذين بدت عليهم بعض علامات استقلالية مقبلة، وأيضاً هؤلاء البائخون الذين يطالبون بأن تكون الجمعية فكرية ولا يسيطر عليها رجال الأعمال.

وهناك طريقتان للتخلص من هذه العناصر:

( أ ) يتم اختطافهم جميعاً غيلة والاحتفاظ بهم كرهائن في غرفة آمنة مغلقة، ونظراً لعدم وجود غرفة بالمواصفات المطلوبة سوى غرفة التجارة المصرية - الأمريكية فأنا ارشحها كمكان لاحتجاز الرهائن، على أن نقوم بالمساومة على الإفراج عنهم مقابل تنفيذ الحكومة لبرنامج إصلاح سياسي نحدده لها.

( ب ) أن نلحق لهم قضية تشكيل تنظيم ديني متطرف يهدف إلى الحوض على كراهية نظام الحكم ويعمل على تهيج المشاعر والأفكار.

وصحيح أننا سنواجه في هذا السياق بعض مشاكل منهجية بسيطة مثل أن الدكتورة منى مكرم عبيد يستحيل إثبات تهمة التطرف الديني والارتباط بجماعات الإسلام السياسي عليها، إلا أن مثل هذه الأمور ستمر على الذهن العام ببساطة فالناس لم تعد تدقق».

استشاط الدكتور سعيد النجار غضباً وهو يستمع إلى هلاوس طلبه وبدا وكأنه أمام مفترق طرق تاريخي في حياته، إذ أوشك على التخلي الكامل عن ليبراليته ليواجه طلبه بما يجب أن يواجهه به، إلا أن طلبه كان يواصل الحديث بشكل يصعب إيقافه!

«وثالثاً: فأنا أظن أن التحاق الجمعية بمشروعى، وليس التحاقى بمشروعها هو الأمر المطروح، فأنا الوحيد الذى سأواجه خصومك داخل

الجمعية وأضعهم في حجمهم الطبيعي ، انظر إلى كل المحيطين بنا ، انظر إلى نظرات عيونهم ، إنهم مخيفون ، يجب أن تحترس منهم (كانت هذه - بالضبط - هي الخطة التي اتبعتها طلبه من قبل مع رئيس حزب الترقى حين أخافه من أعوانه وأكد له أنه الوحيد الذى يستطيع الاعتماد عليه) سوف أحجمهم لك ، فأنا مقدم على بناء دور سياسى يتجاوز كل هؤلاء ، وستجدهم من خلفنا يطلبون الرضاء فى كل لحظة ، ثم إن دورى السياسى الجديد يتم بمباركة ورعاية السفير الأمريكى ، مستر إدوارد ووكر. . .» .

وتأكيداً على المعنى عض طلبه شفته السفلية بأسنانه .

كان غضب الدكتور سعيد قد بدأ يتلاشى مع الفقرة ثالثاً ، وفى منتصفها - تقريباً - ابتسم ، وفى آخرها كان يقهقه بصوت مسموع ، ويصافح طلبه ثم يسحبه من يده إلى منتصف الغرفة ، ويقول بصوت عال :

«يا جماعة . . أقدم لكم الأستاذ طلبه هريدى عضو الجمعية الجديد» !!

ابن سَئِن خَلَدُون

سلة المهملات في منزل طالبة إمتلأت عن آخرها بأوراق ممزقة، وتناثرت حولها - كذلك - عشرات من الصفحات المكرمشة التي تبدو وكأنها أخرجت - لتوها - من فم كلب!

ماهر عبد الهادي وسيف صلاح الدين يجلسان على كرسيين من كراسي السفارة ، وقد علق أحدهما الجاكيت على ظهر الكرسي ، بينما ألقى الآخر بسترته على المنضدة .

ماهر شمّر عن ساعديه المشعرين ، فيما ضغطت أطراف أصابع يده اليمنى التي تعلوها صفرة النيكوتين على عقب سيجارة - بعصية - في الطفاية الفضية ، حتى تأكد بها لا يدع مجالاً للشك من أنه أزهى روحه تماماً .

سيف ينظر إلى ساعته كل دقيقة - في قلق باءٍ - بينما إحدى ساقيه ترتكز على مشط قدمه مهتزة إهتزازاً منظماً وسريعاً ، يشيع في المكان جواً إضافياً من التوتر المجنون .

ورقة أخرى يطبق ماهر عليها قبضته ليحيلها كرة مضغضة ، ثم يلقيها في إتجاه سلة المهملات ، لتقفز قفزة واحدة ثم تتدحرج لتستقر إلى جوار سابقتها .

«لابد أن تنتهي من كتابة التقرير حول مركز إبن خلدون قبل أن يعود الأستاذ ومعه نور» قالها سيف برعشة خوف حقيقية ، فهو يعلم أن طالبة - وهو يتحرك في سبيل بناء دوره السياسي الجديد - يجب أن يكون متسلحاً



بأكبر قدر من المعلومات، وأن رأيه في نور يتلخص في كلمة واحدة: حمار، وأحياناً يضيف عليه كلمة: جداً.

وعلى الرغم من أن المهمة الأساسية التي أوكلت لماهر وسيف كانت التفسير الليبرالي لأشعار ومقالات طلبة، ثم التحرك في أوساط منظمات حقوق الإنسان، على حين كانت المهمة التي أوكلت لنور أحمد السعيد هي معاونة الأستاذ في التحرك في بقية مراكز البحوث، وتلقى ردود فعل الأحزاب والمنظمات والتشكيلات السياسية.

إلا أن غباوة نور التي انتقلت وتطورت ببراعة غير مسبوقة، من مرحلة تجلّي الغباوة، إلى مرحلة سطوع الغباوة، جعلت من الصعوبة بمكان استمرار اعتماد طلبة عليه كمعاون وحيد.

ومن ثم كان لجوؤه لماهر وسيف ليقوما بالأعمال التي يعجز حمار كنور عن القيام بها، أو النهوض بتبعاتها.

الأخبار التي جمعها ماهر وسيف كانت كافية لبناء قاعدة معلومات مناسبة عن مركز ابن خلدون، وأية ثغرات أو فراغات تُترك لعبقرية الأستاذ الفادرة - في لمح البصر - على ملئها وسدها.

المركز تأسس في عام ١٩٨٨ كشركة توصية بسيطة برقم ٣٠٤٤، وشغلته هي التخطيط ودراسات الجدوى والتدريب والمؤتمرات والنشر والإعلام، واسمه الكامل: مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، ويصدر نشرة شهرية باسم «المجتمع المدني»، وفلسفته تقوم على ربط البحوث في العلوم الاجتماعية ببلورة السياسات العامة، ويحرص على التعاون مع المراكز والمؤسسات البحثية والعلمية الأجنبية في بحوث مشتركة، وأهم هذه المراكز والمؤسسات هي: منظمة العمل الدولية، واليونسكو، وفورد فونديشن، والسوق الأوروبية المشتركة، ومنظمة البحث عن أرضية مشتركة Common ground، ومؤسسة دعم الديمقراطية في واشنطن American endowment

for democracy ودار سعاد الصباح (قبل أن يجرى ما جرى).

نظر سيف إلى ماهر - بنظرة الفاهمين العارفين - قائلاً: «أظن هذا يكفي والبركة في الأستاذ فيما يستجد».

فأمن ماهر بهزة رأس يتقنها الفاهمون العارفون أيضاً.

صوت مفتاح يعبث في مزلاج باب شقة طلبة، قطع كل هذه المشاورات، ثم انفتح الباب ليدخل طلبة بخطواته السريعة يفرك يديه في تفاؤل ونشاط، ومن خلفه نور الذي لم يعرف ماذا يفعل، فأخذ يفرك يديه هو الآخر متظاهراً بالتفاؤل والنشاط.

مد طلبة يده ليلتقط تفاحة حمراء لامعة من طبق فاكهة يتوسط منضدة السفارة، بينما اجتاح الأوراق بنظراته المتلصصة المعروفة، وهو يهز رأسه بسعادة وإرتياح.

«نور.. اليوم الثلاثاء.. لا وقت عندنا يجب أن نذهب إلى مركز ابن خلدون في المقطم قبل الثالثة.. هذا هو أفضل موعد نلتقى فيه الدكتور سعد الدين إبراهيم مدير المركز.. وسأفهمك كل شيء في الطريق.. شكراً يا أولاد المعلومات كافية.. إنتظروا عودتنا وجهزوا القعدة.. الويسكى في الصالون، والبواب سيحضر الميزات وعليك بإعدادها يا سيف.. أعرّف أنك ورثت قدراً لا بأس به من عبقريتي في هذا المجال.. سلام».

١٧ ش ١٢، ص.ب/١٣.

«يا قوة الله أهذا عنوان أم شفرة؟!» قالها طلبة لنفسه وهو يتأمل بعض الأوراق، بينما نور يقود سيارة الأستاذ البيجو ٦٠٥ موديل ١٩٨٩، وهو يصعد مطلع المقطم، والطريق يتلوى تحت إطارات السيارة كثعبان فزع، وطلبة - في كل دقيقة - يستحث نور على الإسراع.

وما إن استقرت العربية أمام الفيلا المقصودة وتأكد طلبة من ذلك، بعد أن قرأ اسم المركز على لوحة مثبتة فوق أحد أعمدة المدخل، حتى نزل من

السيارة - في خفة القط - أما نور فلم يكن يعرف ماذا يفعل ، فنزل هو الآخر في خفة لم يعرف تحديدا ما إذا كانت لقط أو لأي حيوان آخر، وبخاصة أن الاستاذ كان دائماً ما يناديه بالحمار، إلا أن الحمار لم يوصف أبداً في التراث العربي كله بالخفة .

على أية حال نزل نور بخفة ما ، سترك لطلبة - بعد ذلك - وصفها بالوصف المناسب .

فتح طلبة حقيية السيارة الخلفية، وأخرج منها علبة ملفوفة كهدية، وحبل كبير، وزلطة لامعة ضخمة ، بينما نور يبرش بعينه غير مدرك لأبعاد خطة الأستاذ .

قفز طلبة على درجات سلم المدخل ، ثم رن الجرس نفس الرنة الأنيقة القصيرة التي تعودها في مثل هذه المناسبات .

فتحت الباب فتاة يافعة ، قدم نفسه إليها، فقالت :  
«إيفت فايز» .

بادرها طلبة بالسؤال : «أهذا ١٧ ش ١٢ ، ص.ب/١٣» ، فهزت رأسها بيايئة موافقة فقال :

«قولى للدكتور سعد الفله في الفانلة» .

لم يلحظ طلبة - بالطبع - الذهول البادى على الفتاة ، فقد كان محتلاً بفكرة أن هذه شفرة وليست عنوانا ، ومن ثم أراد أن يبادل الدكتور سعد شفرة بشفرة ، حتى يشعره إنه - أيضاً - خطير .

وتركته الفتاة للحظات كانت كافية ليجتاح المكان بنظرته التلصصية ، ويرى أعداد نشرة «المجتمع المدني» موضوعة بعناية على رف في المدخل .

«ها هااه . . . إذن هو يهتم بحكاية المجتمع المدني . هذا سوف يكون مدخلي إليه» قالها طلبة لنفسه وهو يتسم ، قبل أن تعود إيفت تدعوه إلى

الدخول وهى تلقى بنظرة مستغربة ذاهلة على الحبل والزلطة والهدية التى يحملها نور.

وفى المدخل تحلقت حول منضدة الاجتماعات مجموعة من الكراسى الزرقاء ذات العجلات، جلس عليها بعض الشباب، وعلى رأس المائدة كان الدكتور سعد الدين إبراهيم، أو سعد الدين محمد إبراهيم (كما ورد اسمه فى الأوراق التى جمعها ماهر وسيف)، وعلى المنضدة رُصت لفافات مفتوحة من الكباب والكفتة والسلطات متنوعة الدرجة والمستوى، وتعلقت عيون الجميع بطلبة ونور، بينما ألقى الدكتور سعد فى اتجاههما بنظرة من فوق إطار نظارته الطيبة المذهب، فيما كانت أصابعه تعبث بشعيرات ذقنه الكثة.

قدم الدكتور سعد الدين إبراهيم الشباب الجالسين إلى طلبة: «سليمان شفيق.. أشرف بيدس.. سامح فوزى.. علاء سلامة.. أسامة حسن.. خالد فياض.. سعيد عبد المسيح.. كريم صبحى.. وطبعاً تعارفتما وإيقت فايز التى فتحت لكما الباب.. تفضلاً».

لم يكن اختيار طلبة ليوم الثلاثاء موعداً لزيارته للمركز من قبيل المصادفة، ولم يكن حثه لنور على الإسراع حتى يصل قبل الساعة الثالثة من قبيل المصادفة أيضاً، إذ كان طلبة قد عرف - بطرقه الخاصة - أن هذا - بالضبط - هو الموعد الأسبوعى الذى يولم فيه الدكتور سعد الدين إبراهيم للشباب العاملين معه، وأن الغذاء - غالباً - ما يكون من الكباب والكفتة وهما اللذان يعشقهما طلبة عشقاً مشبوحاً حتى أن يقيناً داخلياً خالصاً نأ فى أعماقه، مؤكداً أنه ينتمى إلى طائفة «السيخ»!

بدأ طلبة يتحرك على مائدة الاجتماعات / السفارة برشاقة بالغة، فيما يحاول أن يشغل الجميع عن شراسته بالحديث فى أى موضوع وفى أى اتجاه، وقد لاحظ أن صوت موسيقى كلاسيك ينبعث بخفوت من مسجل على أرضية الغرفة، فقال للدكتور سعد الذى كان ما زال يعبث بشعيرات ذقنه الكثة وينظر إلى طلبة فى استرابة متوجسة:

«أنا أيضاً أحب الموسيقى جداً وقد بدأت علاقتي بها على يد فرقة العلم المصرى لصاحبها المعلم فهمى على بشتتنا الحجر، وكنا نستأجرها فى المناسبات الكبرى فى القرية، حيث يأتى أعضاؤها مرتدين سترات [سكاند هاند] اشتروها من بعض العاملين فى سكك حديد جمهورية مصر، بينما أزرارها النحاسية تحمل حروف س. ح. ج. م إشارة إلى مصدرها الأصيل، وكانت للمعلم فهمى على مقطوعة جميلة بعنوان (أفراح الأنجال) يعزفها على الساكسفون، فيمتلئ فمه بالهواء، فيما تطبق عينه الوحيدة بشكل متقطع عصبى، مع انتهاء كل جملة موسيقية، هل تتذكر هذه المقطوعة يا دكتور سعد؟!».

كان الدكتور سعد إبراهيم ما زال مستغرقاً فى النظر إلى طلبة، ولم يجبه بحرف واحد، فيما اندمج طلبة فى محاولته للتذكير بمقطوعة «أفراح الأنجال» وبدأ يندندن:

«ترن ترن تريميم بم . . . ترييتو . . . ترييتى».

لاحظ طلبة أن سكوناً خيفاً خيم على المكان، فترجع عن تدفقه، منتظراً لحظة تناول الشاى ليشرح مشروعه على الدكتور سعد.

ولم يطل انتظار طلبة، فقد دعاه الدكتور سعد للانتقال إلى قاعة مجاورة رُصت فيها بعض مقاعد البامبو لتناول الشاى، وكان طلبة يدرك أن الدكتور سعد رجل أريب، والأريب منك بعيد كما هو معروف، فأراد أن يذيب الجليد بينهما بحركة عاطفية مباغته، فالتقط علبة الهدية من نور، ومد ذراعيه بها فى اتجاه الدكتور سعد قائلاً:

«كل سنة وإنْتَ طيب . . . سنة حلوة يا جميل . . . أنا أعرف أن عيد ميلادك السابع والخمسين فى ٣ ديسمبر وبقى عليه تسعة شهور، ولكن لا بأس أن نحفل به الآن، وربنا يجعل أيامنا كلها أعياداً».

كانت عيون الشباب المتجمعين في غرفة الاجتماعات ترقب المشهد في فضول حار، بينما تعلقو همهماتهم كلما أتى طلبة بفعل جديد، والدكتور سعد إبراهيم لا ينطق بكلمة واحدة، ووجهه يبدو وكأنه قد من صخر.

قرر طلبة أن يطور الهجوم ويدفع إلى الدكتور سعد بكل فيالقه دفعة واحدة حتى يضمن استسلامه فقال:

«أنا أقرب الناس لأفكارك، وأقدر العناصر السياسية على الاندماج في مشاريعك، وسوف يكون دورى السياسى الجديد، الذى أنا بصدد بنائه، هو أكبر ظهير لك يوم قل الظهير، ولعلك تلاحظ الحبل الذى يحمله مساعدى، هذا الحبل هو أكبر دليل على إيمانى بفلسفة المركز القائمة على (ربط) العلوم الاجتماعية ببلورة السياسات العامة، كما إننى من أشد المؤمنين بأفكار المجتمع المدنى، الذى يعنى مجموعة النشاطات الطوعية التى تقع فيما بعد الأسرة، وفيما قبل الحزب، ونظراً لأننى لم تكن لدى أسرة طوال حياتى، كما لم يصبح لدى حزب بعد انهيار الشيوعية، فإننى غير قادر على تحديد المنطقة التى تقع بينهما، وهى - بالضرورة - منطقة المجتمع المدنى، ولذلك أتيت لك بهذه الزلطة اللامعة الجميلة لتصبح علامة طريق، إذا ما وضعتها لى فى أى مكان، سيصبح هو المجتمع المدنى المقصود، بغض النظر عن تحديد موقع الأسرة أو موقع الحزب، وبحيث أستطيع أن أمارس دورى السياسى حول الزلطة، متأكداً من أننى أمارسه فى المجتمع المدنى أيضاً، وإضافة إلى كل ما سبق فإننى تأكدت من التصاقى بأفكارك بعد صدور كتابك الأشهر (الملل والنحل والأعراق) إذا وجدت أن هذا الكتاب - كما هو واضح من عنوانه - أكبر معبر عن زمردى السياسية التى (تتململ) تلملماً سياسياً واضحاً الآن، بعدما (انتحل) وبرها بسقوط الدولة الأم، أما موضوع (الأعراق) فليس لخبرتنا فيه نظير، وشمة واحدة من أى أنف متوسط الحساسية فى أحد اجتماعات الحزب تشى بأننا من أفضل منتجى الأعراق فى البلاد، وكإضافة أخيرة - لتأكيد كل المعانى السابقة - فقد علمت أنك كنت

بصدد عقد مؤتمر في ١٢ - ١٤ مايو ١٩٩٤ تحت عنوان: «مؤتمر حول إعلان الأمم المتحدة لحقوق الأقليات وشعوب الوطن العربي والشرق الأوسط»، بالاشتراك مع جمعية حقوق الأقليات Minorities rights group ، وهي الجمعية التي تضم اسمك كعضو في مجلس إدارتها، وهي - أيضاً - التي وصفها عدونا المشترك الأستاذ السيد ياسين بأنها (جمعية مجهولة المنشأ غير معروفة الاتجاه)، وإذا كان اهتمامك بالأقليات قد وصل إلى هذا الحد، فمن غير حزبنا، حزب الترقى، وأعضائه يمثل الأقلية؟!، لقد كنا أكثر الأحزاب التصاقاً بمفهوم الأقلية في تاريخ البلاد السياسى، حيث لم يحصل حزبنا على صوت واحد في أية انتخابات نيابية خاضها، بما في ذلك أصوات أعضاء الحزب أنفسهم».

التقط طلبة أنفاسه المتقطعة بصعوبة بعد هذه الخطبة المجلجلة، ونظر إلى الدكتور سعد الدين إبراهيم منتظراً رد فعله، الذى لم يأت أبداً، فواصل طلبة محاولاً تحقيق أى ثغرة في حائط برلين الذى بناه الدكتور سعد بينهما:

«ثم أننى أعرف غرامك بالتقسيمات حين قسمت المفكرين إلى ناس مع التاريخ وناس ضد التاريخ، وكنت قد قسمتهم من قبل في كتابك «المثقف والأمير» إلى شهداء وخبراء وعملاء، وأؤكد لك أنك لن تجد - أبداً - من هو في مرونتى الفكرية والسياسية، إذ بإمكانك أن تعتبرنى من الخبراء الشهداء في سبيل أن يكونوا عملاء!، كما أننى الوحيد - بشهادة بعض المنظمات الدولية مجهولة المنشأ وغير معروفة الاتجاه أيضاً - الذى يجمع بين كونه مع التاريخ وضد التاريخ في أن واحد، إذ كنت أحب هذه المادة جداً في المرحلة الثانوية ومع ذلك رسبت فيها بجدارة!، بصراحة يا دكتور سعد أنا أشعر أننى ابن ستين خلدون، ومن هنا جاءت مشاعرى الجياشة والفياضة تجاه مركزك».

ظل الحال على ما هو عليه. . طلبة يتدفق مشتعلًا ود. سعد الدين إبراهيم لا يبيل ريقه بكلمة واحدة، وهنا قرر طلبة أن يلقي إليه بالكارث الأخير:

«أما عن مؤسسة دعم الديمقراطية في واشنطن والتي تشترك مع مركز ابن خلدون في بعض الأعمال، فأنا أعرف كل شيء عنها، فقد عُقدت بعض جلسات الاستماع في الكونغرس في أواخر عهد الرئيس ريجان لمناقشة دور وكالة المخابرات الأمريكية الذي مارسته في أمريكا اللاتينية وضرورة السيطرة على دخول الوكالة في مجال النشاطات المدنية، ومن ثم أنشئت هذه المؤسسة عام ١٩٨٥ كمؤسسة تابعة للكونغرس ضمن عملية لإعادة ترتيب المؤسسات التي تعمل في إطار السياسة الخارجية، وبحيث ترتبط بالرغبة في إبعاد السي. أي. إيه عن الأنشطة المدنية، وسوف أكون لك معيناً هاتلاً في هذا الإطار نظراً للعلاقة الوثيقة التي تربطني - الآن - بالسفير الأمريكي والذي يرمي دورى السياسى الجديد ويشرف عليه، وأؤكد لك أن المؤسسة المذكورة لن تُفلق منك كما فعلت مع الدكتور جهاد عودة في مركز دراسات التنمية السياسية والدولية، والذي كان ينشر ترجمة لنشرتها تحت عنوان: الديمقراطية، لأننى - شخصياً - وبكل ما أملك من قوة سأكون معك، أسانذك وأشد من أزرك تحت رعاية صديقى العزيز مستر إدوارد ووكر» .

.....

أخيراً.. أخيراً.. أخيراً.. أخيراً.

إنفجرت أسارير الدكتور سعد الدين إبراهيم، وبدا وكأنه وجد ضالته المنشودة في طلبه، ولم يكتف د. سعد بالابتسام، أو بالنظر إلى طلبه نظرة مترعة بالحنان والحب فقط، ولكنه أيضاً أخذ يقلب باهتمام في الحبل والزلطة، ويسترجع كل حرف من كلمات طلبه عنهما، وهو يهز رأسه بتقدير وإعجاب، ثم أشار بيده إلى الشباب المتجمعين في قاعة الاجتماعات ليدخلوا إلى القاعة، وقال لهم مشيراً إلى طلبه الذى أطرق برأسه خجلاً وخفراً وحياءً:

«لقد عثرنا على مفكر آخر مع التاريخ يا شباب . . . وسن عقد اجتماعاً غداً لبحث ضمه إلى مجلس أمناء ابن خلدون» .



حقوق الإنسان اللّوَبِيّ

الميه تروى العطشان  
وتطفى نار الحران  
يا جماها والحوض مليون  
وأنا عايم على وش الميه  
المالاهه . . . . .

كان طلبة يجعُر من جواب جواب السيكا، وهو جالس في البانيو، بينما فقاقيع الفوم تغطى جسمه بعباءة بيضاء أنيقة يعكس ضوء الحمام عليها ألوان الطيف السبعة.

ولم لا يسعد؟ ولم لا يغنى؟ ولم لا يجعُر؟!

فالرجل وضع خطة لا تخر الماء، وتحرك بحنكة ودهاء، واعتمد أسلوباً علمياً في جمع الأخبار وتدقيق المعلومات والأسماء، وبعد هذا كله بدأ يتلقى ردود فعل مشجعة تشي بأفاق هائلة لدوره السياسي الجديد المرتقب.

إلا أن طلبة رجل حقانى يجب الحق، ويجب - أيضاً - أن يرد الفضل لأصحابه، وهو لن ينسى - أبداً - فضل مستر إدوارد ووكر سفير الولايات المتحدة الأمريكية في القاهرة، الذى كان اسمه بمثابة الكلمة السحرية التى تفتح أمامها الأبواب المغلقة، وتنسبط فى مواجهتها أسارى كل عاقد للحاجين، على الجبين اللجينى!

صوت طرقعة أصعب قدم طلبة الكبير الذى أطل من تحت الماء والفوم، أفاقه على الواجب الخطير الذى ينتظره اليوم، ليكمل به رتوش لوحه دوره السياسى الجديد .

حقوق الإنسان، كلمة السر الثالثة بعد الليبرالية، والمجتمع المدنى، والمؤهلة لأن تفتح أبواباً جديدة أمام طلبة ودوره، والمؤهلة - كذلك - لأن تخرجه من نفق أزمنته المظلم الذى وجد نفسه قابعاً فيه بعد انهيار الشيوعية .

خرج طلبة من البانيو ليعيط جسده المبتل بباشكير مشجر ظريف، وينظر لصورة وجهه المنعكسة على سطح المرآة الكبيرة التى تعلو الحوض بإعجاب، ويهز رأسه هامساً:

«نعم . . حقوق الإنسان . . ولكنه موضوع ملء بالتعقيدات التى تحتاج إلى دراسة شديدة الحساسية» .

تلمس طلبة بقدمه مكان الشبشب على أرضية الحمام السيراميك، وهو غارق فى تأمل صورة وجهه فى المرآة، ثم ارتدى الفردة الأخرى، وخرج إلى غرفة النوم ليرتدى ملابس سبور مناسبة لرسم التحركات، وجبك الخطط . (لا يعرف أحد - على وجه الدقة - ما هى العلاقة بين الملابس الإسبور وجبك الخطط، إلا أنها - أى الملابس الإسبور - يمكن أن تكون أكثر ملاءمة لمثل هذا العمل، كونها تجعل المرء يتأمر على راحته) .

.....

جلس طلبة على كرسى مكتبه، ونادى على ماهر عبد الهادى الذى كان غارقاً فى الأوراق على منضدة السفارة!

«مااااااااهر . . مااااااهور . . مهاهرو . . هات الورق وتعال يا جميل لدينا عمل كثير هذا الصباح» .

جاء ماهر يحمل أوراقه، ووضعها على المكتب، ثم جلس قبالة طلبة ينظر إليه بتقدير حقيقى، فالأستاذ وحده - من وجهة نظر ماهر - هو الذى

يستطيع تحويل هذه المعلومات التي جمعها إلى كائنات تنبض بالحياة على أرض الواقع ويخلق بينها علاقات ارتباط، ويوظفها - جميعاً - في خدمة هدفه الذي حدده مسبقاً، وجر تلامذته - كلهم - في الطريق المؤدى إليه .

قلّب طلبة في الأوراق باهتمام نهم، بينما كان يرسم بالقلم الرصاص على صفحة بيضاء، خطوطاً وأسهماً، ودوائر، وعلامات تعجب واستفهام، وبضعة حروف لاتينية وهيروغليفية قديمة، ثم نظر إلى ماهر ملياً، وأطال النظر، وزفر زفرة ارتياح عميق وبدأ حديثه :

«نحن أمام معلومات تقول بأن هناك أربعة كيانات محلية وإقليمية لحقوق الإنسان في مصر، أولها المنظمة العربية لحقوق الإنسان، وقد تأسست في ديسمبر ١٩٨٣ كمنظمة غير حكومية للدفاع عن حقوق الإنسان، وكان أول رئيس لها فتحى رضوان، ورئيسها الحالي أديب الجادر (عراقي معارض)، وكان أول أمين عام لها د. سعد الدين إبراهيم، وأمينها الحالي محمد فائق، ومقرها الرئيسى ١٧ ميدان أسوان بالمهندسين، وحساباتها البنكية فى البنك العربى المحدود جنيف ، والبنك الوطنى المصرى فرع ثروت، حساب جارى رقم ٥٨١٨٣٥ .

وأماننا - أيضاً - المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، وهى منظمة غير حكومية للدفاع عن حقوق الإنسان، وأول رئيس لها محمد إبراهيم كامل، ورئيسها الحالي نجيب فخري، وأول أمين عام لها بهى الدين حسن، وأمينها الحالي نجاد البرعى، ومقرها ٨ شارع متحف المنيل - منيل الروضة، وحساباتها فى المصرف العربى الدولى وبنك مصر، والبنك التجارى الدولى، والحسابات مسجلة باسم الأمين العام، وأمين الصندوق د. محمد مندور، أما أهم الممولين العلنيين فهم: لجنة المحامين لحقوق الإنسان (أمريكا)، منظمة نوبيه الهولندية، الصندوق السويسرى للمنظمات غير الحكومية، والبرنامج الدولى لمنح حقوق الإنسان، واتحاد المحامين العرب، ونقابة

المهندسين، والحزب الناصري، وحزب التجمع، ودار صوت العرب للثقافة والإعلام (عبد العظيم مناف)». .

ثم تغيرت نبرة صوت طلبة، وأخذ يضغط على مخارج الألفاظ كمن وجد ضالته المنشودة، بعد طول بحث، وتمتم على مهل، وكأنها يتذوق ويستطعم حروف الكلم:

«وكان الصراع على التمويل أحد أهم عوامل الانقسام داخل هذه المنظمة، والذي اتخذ شكل صراع ناصري / ماركسي، رغم أنه في أساسه - وفي نظر عدد لا بأس به من المراقبين - كان صراعاً على الفلوس، واتضح ذلك - في نظر ذات المجموعة من المراقبين - من المعركة التي دارت خلال الجمعية العمومية للمنظمة التي انعقدت أوائل ١٩٩٤ في نقابة الصحفيين».

نظر طلبة إلى عيني مساعده فقد كان لا يعول كثيراً على دقة أو أهمية مثل هذه المعلومات، ولكن أما وقد وردت في تقرير ماهر فلا بأس من استخدامها استخداماً تكتيكياً مع توخي أكبر درجات الحذر التكتيكي أيضاً!

ثم تابع طلبة استعراضه للمعلومات التي تضمنها تقرير ماهر فقال بصوت خافت فيه بحة خفيفة يصلح أن يكون صوتاً لأفعى محلية جربانة ومتوسطة الخطورة:

«أما الكيان الثالث فهو مركز الدراسات والمعلومات لحقوق الإنسان وقد تأسس عام ١٩٩١ في صورة شركة مدنية لا تهدف للربح، وتعمل على احترام سيادة القانون والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، ومؤسسه هو أمير سالم (محامي ماركسي كان أحد قادة الحركة الطلابية في جامعة عين شمس ٧٢-١٩٧٣) ومقره ٧ ش الحجاز - روكسي، ومصادر تمويله غير معروفة،

ولكن نفس المجموعة - إياها - من المراقبين ترجح أنها نفس مصادر تمويل المنظمة المصرية ومركز القاهرة، حيث كان أمير سالم أحد قادة المنظمة المصرية قبل أن يؤسس هذا المركز، ويعتقد أنه أسسه بجزء من أموال المنظمة حصل عليه في إطار الصراع على التمويل».

أمعن طلبه النظر في عيني ماهر، فقد بدأ يضيق ذرعاً بمثل هذا النوع من المعلومات غير المؤكدة وغير الموثقة توثيقاً كاملاً، لكنه مع ذلك لم يغض الطرف عنها بشكل كامل، إذ تتجلى فيها - باستمرار - إمكانيات استخدام هائلة، يمكن بها ابتزاز كل الأطراف المعنية، وصولاً إلى إخضاعها وتوظيفها في خدمة أهدافه.

وواصل طلبه قراءة الأوراق:

«أما الكيان الرابع، فهو مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، وقد تأسس عام ١٩٩٣ كهيئة علمية بحثية وفكرية غير حكومية، تستهدف تعزيز حقوق الإنسان، ومديره هو: بهي الدين حسن (أول أمين عام للمنظمة المصرية) ومستشار الأبحاث هو: د. محمد السيد سعيد، والجهات الممولة للمركز هي: مؤسسة فريدريش إيبيرت (ألمانيا)، ومؤسسة ميدإيست (أمريكا)، ومؤسسة معاً من أجل حقوق الإنسان (فرنسا)، وهيئة المعونة الدنماركية (الدانمارك)».

.....

حين فرغ طلبه من قراءة الأوراق أطرق برأسه قليلاً وبدا وكأنه أنخرط في حالة شبه فلسفية، بينما حبس ماهر أنفاسه منتظراً تقييم الأستاذ لمجهوده الكبير الذي اقتضى منه الدخول في عضوية المنظمات الأربع، وشراء نظارة سوداء بمرسول لزوم التنكر والمراقبة، ثم التغلب على مشاعره الجياشة ضد حقوق الإنسان طبقاً لعناصر ثقافته السياسية الأولى، والإنسلاخ بعد ذلك

من حدود هذه الثقافة، والتحول إلى كائن ظريف يجب حقوق الإنسان  
ويبذل في سبيلها الدم والعرق والدموع .  
«مش بطال يا ولديا ماهوره» .

جاءت عبارة طالبة - هذه - بمثابة بضعة مكعبات ثلج ألقيت في عب  
ماهر، فأثلجت صدره!  
ثم واصل طالبة :

«ولكن ما يجب علينا الآن هو أن نعرف كيف نستخدم هذه المعلومات ،  
فلدينا أولاً مجهود إعلامي ، ثم لدينا ثانياً مجهود تطبيقي يتعلق باستخدامها .  
فأما عن المجهود الإعلامي فهو يعنى تدريب أنفسنا على الظهور  
التلفزيوني والإذاعي والصحفي في أثناء اكتمال ملامح دورنا السياسي  
الجديد، والذي ستكون ساحة حقوق الإنسان من ساحاته المفضلة، وأما  
المجهود التطبيقي فيعنى استخدامنا للمعلومات في النفاذ إلى منظمات حقوق  
الإنسان والحصول على دعمها وتأييدها لدورنا السياسي الجديد» .

بربش ماهر بعينه في انبهار صادق بقدرات الأستاذ الخلاقة والخرافة معاً ،  
ثم واصل استماعه إليه في اندماج يصل إلى حد الدروشة المتكاملة الأركان .

«سنبداً بتدريب أنفسنا على الظهور في التلفزيون، وليكن ذلك من  
خلال برنامج صباح الخير يا مصر، حيث أرى أن الشعب المصري الصديق  
ينبغي أن يستقبل ظهورنا في بداية النهار، وقبل أن تضغط أعباء الحياة عليه  
بشكل يمنعه من استيعاب رسالتنا، بعبارة أخرى، سنكون (إصطباحة) هذا  
الشعب السياسية والإعلامية» .

قام طالبة بنشاط من على المكتب وجلس على كرسى في مواجهة ماهر، ثم  
أضاء أبا جورة المكتب ليضفي جواً أشبه بجو الاستوديو، وتناول قدحاً من  
الكابوتشينو وأمسكه في يده ليبارس شكلاً من الطبيعية والتلقائية التي يحرص

عليها مقدمو وضيوف البرنامج ، وقال لماهر في استعجال :

«ستمثل أنت دورى محمود سلطان وفريدة الزمر، وتستضيفنى فى البرنامج موجهاً إلى مجموعة من الأسئلة المتفق عليها ، وأجيبك - أنا - بدهشة تفيد أننى بوغت بهذه الأسئلة الجريئة . . اتفقنا يا ماهوره؟! . . ابدأ . . » .

ارتبك ماهر قليلاً ، ثم بدأ يستحضر فى نفسه صفات محمود سلطان وفريدة الزمر ، فتسلح بقدر لا بأس به من الحواطة والتزام فكرة الأسئلة المفتوحة ليبدو مثل محمود ، كما التزم - من جانب آخر - براءة وهليلية فريدة ، ومد يده إلى مشبك ورق كبير من على مكتب طلبة ليثبته فى ياقة سترته كالميكروفون ، وفتح جهاز التسجيل على المكتب ، حرصاً على توثيق هذه التجربة الإعلامية المهمة ، وبدأ ماهر محاولته مواجهاً الأباجوره حيث ينبغى أن تركز اللقطة الأولى على المذيعين :

«سيداتى أنساتى سادتى . . ضيفنا فى هذه الفقرة رمز سياسى مهم ملاً الدنيا وشغل الناس لسنوات طويلة ، وهو الشاعر الكبير طلبة عبد الرحمن يوسف هريدى ، الذى بدأ يضطلع بدور سياسى جديد تبرز خطورته يوماً وراء يوم ، وأبرز ساحات هذا الدور هى - بلا شك - ساحة حقوق الإنسان ، وهو موضوع يهم الداخلى كما يهم الخارج» .

(كان هذا - بالطبع - هو محمود سلطان) .

«أه والنبى يا أستاذ تولبة يهم الداخلى كما يهم الخارج» .

(وكانت هذه - بالطبع - هى فريدة الزمر) .

«ونود - فى البداية - أن نستوضح من سيادتكم معنى حقوق الإنسان وملاحظاتك على أسلوب عمل المنظمات المرتبطة بهذه الحقوق فى مصر» .

(كان هذا - بالطبع أيضاً - هو محمود سلطان) .



«آه وحياة النبي يا أستاذ تولى . . إيه هية ملاحظاتك على الأسلوب . .  
لأننا مش فاهمين حاجة . . والناس مش فاهمه حاجة . . وعاوزين نفهم أى  
حاجة» .

(وكانت هذه بالطبع أيضاً - هي فريدة الزمر).

اعتدل طلبة على كرسيه ووضع ساقاً على ساق، قبل أن يتنحى ويبدأ حديثه:

«في الواقع . . أول ما لفت نظري في منظمات حقوق الإنسان، هو هذه  
البعثة الكبرى للجمعيات والمراكز والتي يقع بعضها في المهندسين،  
والبعض الآخر في روكسى، والبعض الثالث في المنيل، بما يجعل أى إنسان  
حريص على الالتصاق بقضية حقوقه يمضى معظم نهاره في اللهاث وراء  
الحافلات العامة، متنقلاً من أقصى القاهرة إلى أقصاها، وهذا أمر يصيب  
أى إنسان يبحث عن حقوقه بالقنوط والقرف واليأس والحيرة، تلك الحيرة  
التي هي أشبه ما تكون بحيرة الأستاذ محمد عبد المطلب حين كان يمضى  
أناء الليل وأطراف النهار، في التنقل بين حى السيدة وحى الحسين، ذهاباً  
إلى حبيته وإياباً إلى بيته، ويمكن لأى مراقب نصف منصف أن يتخيل  
حجم المشقة التي كان يتجشمها الأستاذ عبد المطلب، حين يتأمل ذلك  
المقطع من أغنيته الشهيرة، الذى كان يقول: (وعشان أنول منه الرضا . .  
يوماتى أروح له مرتين)» .

وواصل طلبة بعد أن تنحى كما نحنوحة:

«وهذا الوضع لا يستقيم ابتداء مع قضية حقوق الإنسان، وإذا أصرت  
منظمات حقوق الإنسان على هذه البعثة فلا بد أن تلتزم - وليكن ذلك بضغط  
شعبى أو حتى دولى - بتخصيص بضعة ميكروباصات، مجهزة تجهيزاً كاملاً  
لنقل المواطنين الذين نقحت عليهم حقوقهم، من أماكن التجمعات

السكنية الكثيفة في القاهرة الكبرى إلى مقار هذه المنظمات ، وليكن ذلك - أيضاً - من خلال مواقف معروفة في التحرير والعتبة والمطرية وبولاق الدكور، كما أنصح بتوفير خدمة خاصة للنقل بالنفر - من خلال موقف أحمد حلمي - لمواطني الأقاليم» .

(وما هي ملاحظتك الأخرى يا أستاذ . . . . .)

وقبل أن يضيف محمود سلطان كلمة أخرى على السؤال كانت فريدة الزمر قد مارست هوايتها المفضلة في النط على كلامه مقاطعة في نشوة وانفعال :

«أه وحياة النبي يا أستاذ توبلة . . ما هي ملاحظتك الأخرى . . لأننا مش فاهمين حاجة . . والناس مش فاهمة حاجة . . وعاوزين نفهم أى حاجة» .

أنزل طلبة ساقه وأشعل سيجارة، قبل أن يتنحى نحنوحة إلا قليلا ويواصل حديثه :

«في الواقع أن ثانی الأشياء التي لفتت نظري، هو هذه الكمية الهائلة من أرقام الحسابات، وعناوين المصارف والبنوك، وأسماء الجهات الممولة، بما يوحي أن حقوق الإنسان - بالدرجة الأولى - هي حقوق مادية تتعلق بالفلو (الفلو هو الاسم المختصر للفلوس عند طلبة وهو يفضل استعماله على سبيل التذليل وتعبيراً عن المحبة الخالصة)، وبما يؤكد هذه الحقيقة بسطوح جلي، شيوع استخدام تعبير (آليات الدفع لحقوق الإنسان) عند معظم العاملين في حقل هذه الحقوق، ثم هناك - أخيراً - هذه الإشارات الجميلة الموحية والموجودة في تراث المنظمة المصرية عن الصراع على التمويل، بما يشي بأن التمويل كبير وملفظ بما يدفع للصراع عليه، والخناق من أجل اقتسامه» .

داخل ماهر بسؤال مباغت - مفتوح أيضاً - على طريقة محمود سلطان :

«وهل لدى سيادتك يا أستاذ طلبة ما يثبت هذا الانطباع؟» .

ثم أضاف ماهر على طريقة فريدة :

«أه وحياة النبي يا أستاذ تولبة هل لدى سيادتك ما يثبت هذا الانطباع . . لأننا مش فاهمين حاجة . . والناس مش فاهمة حاجة . وعاوزين نفهم أى حاجة» .

تنحنح طلبة نحنوحة ونصف قبل أن يسحب نفساً عميقاً من سيجارته ويحيب :

«فى الواقع . . ما يثبت هذا الانطباع هو إصرار كل المنظمات والمراكز على تقرير أنها منظمات غير حكومية ، وهو ما يرمز له بالحروف : إن . جى . أو ، التى أعتقد أنها اختصار لكلمات (نشفت جامد أوى) ، وفعل الشفط - كما تعلمون - ليس له وجود فى القواميس والمعاجم اللغوية ، إلا أننى وجدت فى (المنجد فى اللغة والأعلام) مادة تتعلق بكلمة شفتر، التى تعنى أن يغلظ المرء شفتيه ويبرزهما إلى الخارج ، ومن وجهة نظرى فإن ذلك يكون غضباً أو استياء ، أو خلقة ، أو استعداداً فطرياً أو مقصوداً للممارسة فعل الشفط .

وأود - هنا - أن ألمح إلى أن الشفتر لن تسمى إلى شكل من ييارس الشفط على الإطلاق ، فقد قال أبو الطيب المتبنى فى وصف كافور :

وأسود مشفره نصفه

يقال له أنت بدر الدجى» .

لم يتمالك ماهر نفسه فصاح فى حماس فوار ، ولكن بطريقة محمود :  
«الله . . الله يا أستاذ طلبة» .

ثم أردف على طريقة فريدة :

«أه وحياة النبي . . الله . . الله يا أستاذ تولبة» . .

انشكع طلبه من نفسه فتجلى مواصلاً من دون أية نحنحة :

«وأنصح - في هذا السياق - أن يتحلى العاملون في المجال، الذي نحن بصدد التعرض له، بخاصية الصبر والدأب على تدريب أدواتهم وصقلها، بما يمكنهم من أداء دورهم المفترض، ولا يكون ذلك إلا بأداء تمرينات يومية قاسية للشفاة تدريباً على الشفرة، وللرئتين تدريباً على سحب أكبر كمية من الهواء فيما يعرف بالشفط» .

وتساءل ماهر بأسلوب محمود :

«ولكن ما دور شاعر كبير مثلك في هذا المجال يا أستاذ طلبه؟» .

وأضاف ماهر بأسلوب فريدة :

«أه وحياة النبي يا أستاذ تولبة ما دور شاعر كبير مثلك في هذا المجال . . . لأننا مش فاهمين حاجة . . والناس مش فاهمة حاجة . . وعاوزين نفهم أى حاجة» .

ثم أردف ماهر بأسلوب فريدة - أيضاً - والتي رأت أن تضيف شيئاً لم يقله محمود :

«ونحب نوجه عناية السادة المشاهدين إلى أننا يسعدنا أن نتلقى أى ملاحظات أو أسئلة منهم للأستاذ تولبة على فاكس البرنامج ٧٦٠٠٢٥ - ٧٧٠٠٦٠» .

منح تنبيه فريدة هذا طلبه فسحة مناسبة من الوقت ليفكر في إجابة السؤال، وما أن انتهت فريدة من التنويه حتى طفق طلبه يجيب في طلاقة تفكير وطلاوة لسان نادرتين :

«في الواقع إنه لما كان القوام الأساسى للمنظمات والمراكز العاملة في حقل حقوق الإنسان يتشكل من عناصر تنتمى إلى أصول فكرية تقع في منطقة ما بين الشمولية والفاشية، في أحسن الأحوال، فإن ذلك يثير في النفس إعجاباً

فائقاً بتلك المرونة النفسية والسياسية لهذه العناصر التي مكنتها من الانتقال إلى مواقع فكرية تقع على الطرف النقيض الآخر، بسلاسة وانسيابية وفي صمت بليغ، بحيث أصبحت أصوات هذه العناصر هي الأعلى في مربع الديمقراطية وحقوق الإنسان، وهذا يطرح - من جديد - قضية المثقف اللولبي، القادر - مثل الأستك - على تبديل مواقعه وفقاً لصيغ مطاطة عبقرية.

والغريب - في هذا الإطار - أنه رغم معلومية الجميع بقدراتي اللولبية غير المسبوقة، ورغم معلومية الجميع بحدود دوري السياسي الجديد الذي يتبنى مفاهيم الليبرالية، والمجتمع المدني، وحقوق الإنسان، ورغم معلومية الجميع بأن هذا الدور يتمتع برعاية القوة العظمى الوحيدة في عالمنا، وكل القوى الأخرى المانحة لمنظمات حقوق الإنسان، فإن أحداً من القائمين على أمر هذه المنظمات لم يحاول الاتصال بي، أو ترتيب وضع معين، يتيح لهذه المنظمات الاستفادة من دوري السياسي الجديد، الذي يُعَلِّي قيمة اللولبية كما لم يعليها أى دور سياسى آخر على مدى تاريخ الدولة الحديثة في مصر.

وأنوه - هنا - بأن (لولبية) المثقف لا علاقة لها - البتة - بأية وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة، وإلا أصبح الدكتور ماهر مهران مسؤولاً مسئولية مباشرة عن التحولات الفكرية التي تعترى البدن الثقافى في مصر، وإنما اللولبية تظل تعبيراً عن حالة سياسية - عضوية - أخلاقية، تبرز ملامحها لدى المثقف الساعى إلى أن يمد تأثير دوره السياسى إلى المستقبل، وفي ظل كل الظروف».

أطلق ماهر قبلة في الهواء في اتجاه طلبة ثم قال على طريقة محمود:

«في نهاية هذا اللقاء الثرى نتوجه بالشكر إلى الشاعر الكبير طلبة عبد الرحمن يوسف هريدى».

ثم أتبع ماهر بإطلاق قبلة أخرى في الهواء في اتجاه طلبه وقال على طريقة فريدة:

«أه وحياة النبي في نهاية هذا اللقاء الثرى نتوجه بالشكر إلى الشاعر الكبير تولىة عبد الرحمن يوسف هريدى».

.....

أطفاً ماهر الأباجورة والكاسيت، فيما كان جرس الباب يرن رنيناً متواصلًا، فجرى إليه في عجالة، ولما فتح وجد البواب الذى سلمه ورقة قائلاً:

«ده فاكس جه للأستاذ بعد البرنامج».

ورغم أن ماهر يعلم أن البرنامج كان مجرد تمثيلية وتجربة، ورغم أن ماهر يعلم أن البواب ليس لديه فاكس، إلا أنه تسلم الورقة وطار بها على طلبه، الذى طالع سطورها مبتسماً فى انتصار:

«الشاعر الكبير طلبه عبد الرحمن يوسف هريدى:

تابعنا - باهتمام - لقاءك المثير فى برنامج صباح الخير يا مصر، وفهمنا إشارتك القوية عن دعم القوة العظمى الوحيدة لدورك السياسى الجديد . قبلناك عضواً . . ومُنظراً . . ورمزاً . .

وفى عرض دين النبى لا تواصل إذاعة أو نشر آرائك وتفسيراتك عن حقوق الإنسان .

توقعات:

محمد فائق .

أديب الجادر .

نجاد البرعى

أمير سالم .

بهى الدين حسن .

سَعْيَكُمْ مَشْكُورٌ

تُعد دار المناسبات في جامع عمر مكرم الواقع في وسط المدينة، بمثابة ساحة تعمد للوضع الاجتماعي لأي مواطن، وبخاصة إذا ما بذل هذا المواطن مجهوداً بسيطاً يبرر ظهوره في هذه الساحة، ويضعه في المكان الذي يتصوره تحت الأضواء، - بعبارة أخرى - يتوفى إلى رحمة الله .

وبمقدار اهتمام البلدية برش الشارع والميدان أمام دار المناسبات ، بمقدار ما تتحدد أهمية الشخص (المتوفى)، وأهمية المناسبة (الوفاة) .

ثم أن جهد رجال المرور حول مسرح الحدث يظل مرهوناً - من حيث حجمه وديناميكيته - بأهمية الميت صاحب الحفل، ومكانة المدعوين إلى ذات الحفل .

غير أن مناسبة الوفاة فيها سبع فوائد أخرى، يمكن تحديدها على النحو التالي:

١- وسيلة ملائمة لظهور المسؤولين السابقين في ساحة عامة تجمعهم والمسؤولين الحاليين، بما يثبت - أولاً - أنهم لم يتوفوا بعد، وبما يؤكد - ثانياً - امكاناتهم للمناوذة على منصب مقبل لدى أول تغيير أو تعديل وزارى مهما طال الزمن، أو بدا هذا التغيير أو التعديل أمراً مستحيلاً - نادراً كبيضة الديك، وبما يطرح - ثالثاً - سيلاً من المقارنات بين عدد الذين خفوا للسلام على المسؤولين السابقين، وهؤلاء الذين أسرعوا لتحية المسؤولين الحاليين، وليست المقارنة في العدد فقط، ولكن - أيضاً - في



درجة الحرارة التى أبدأها كل فريق فى هرولته تجاه من هرول إليه ، أو الدلالة السياسية لنوعية المهوليين ، حكوميين - كانوا - أو معارضين ، مثقفين - كانوا - أو رجال أعمال .

فى وصف آخر فإن دار المناسبات تستحيل ساحة من ساحات الإغاظاة والإفحام ، والكيد ، وترقيص الحواجب ، والتناؤذ بالمؤيدين ، بين رجال البلاط السابقين والحاليين .

٢- وسيلة مناسبة لإظهار الفجيرة والالتياغ ، على رحيل الفقيؤ (وبخاصة إذا كان يشغل حتى سعت الوفاة منصباً عاماً) بحيث يكون حجم الفجيرة والالتياغ التى أبدأها المعزى ، فى قمة أولويات مسوغات تعيينه فى المنصب بدلاً من الميت ، باعتباره رجلاً متفان فى إخلاصه ومحبته ، وخصوصاً إذا نجح المتناع فى إيهام الحضور بأن فجيعته لها طبيعة عامة ترتبط بحرصه على استقرار النظام ، واستمرار المسيرة ، أكثر منها مرتبطة بتقديره لخصال الفقيؤ وسجاياه .

وعادة ما يكون التنافس على ذرف الدموع الساخنة ، أو النهنهة ذات الصوت ، مع هز الأكتاف بالطبع ، بالإضافة إلى رسم تعبير على الوجه هو مزيج من الحزن الؤفين والإشمئاط ، وهو ذات التعبير الذى يعلو وجه من يعانى الإمساك ، وسائل ناجعة فى توثيق طلب المعزى فى وراثة وظيفة الميت .

٣- وسيلة مناسبة لأجهزة الأمن المختلفة ، للتعرف على الشلة أو الزمرة التى يرتبط بها شخص ما ، وهو أمر - كما يعلم الجميع - شديد الأهمية ، فى جمع التحريات ، وهو شديد الأهمية حتى إذا توفى الإنسان ، حيث - من المعتاد - أن يرث الأبناء والأقرباء منظومة علاقاته العملية أو الإنسانية ، ثم - من جهة أخرى - فإن وفاة المتوفى لا تحول - إطلاقاً - دون متابعتة

والتقصي عنه، إذ يظل المتوفى محل تحريات سياسية على الرغم من استحالته رماً مثيراً، بحكم استمرار تأثير أفكاره بعد الوفاة من جهة ، أو بحكم قابلية اسمه للاستخدام - كما تدعى بعض فصائل المعارضة - في الجداول الانتخابية .

٤- تجمع مثالي لعقد الصفقات، إذ يندر - وسط مشاغل الحياة وزحمة الارتباطات - أن يجتمع أصحاب المصالح - كلهم - معاً في وعاء واحد ، إلا في المآتم وسرديات العزاء، وبالتالي فإن مناقشة أمر «لوط» ملابس مستعملة، أو ثلاثة إلى أربعة أطنان من حديد التسليح، أو بضعة آلاف من الفراه الفاسدة، أو فتح خمس أو ست ثغرات في قانون على وشك الاصدار من أجل تسليك المسائل، أو غلق هذه الثغرات بعد إنجاز المطلوب، مناقشة كل هذا تجرد ساحتها المثالية في مثل هذه المناسبات .

ثم إن وجود الفرقاء والأصدقاء معاً في مكان واحد، لا يقتضى اتصالات لتحديد موعد، أو مواصلات لبلوغ مكان الموعد المضروب ، يفتح الباب - على مصراعيه - أمام المساومات، وترسية الصفقة على فلان الفلاني أو إعلان العلاني، ما إذا أبدى ترتان الترانى «عصلجة» أو «تريسة» أو مقاومة من أى نوع، إذ لا يحتاج الأمر - عند بلوغ الخلاف مبلغاً شديداً - إلا أن ينتقل فلان من جانب ترتان، ويأخذ مجلسه إلى جوار إعلان لتبدأ - من جديد - سلسلة من المفاوضات والشوشات والتسار إلى أن ينتهى الأمر بالتصافح (علامة الوفاق) أو بتقبيل الوجنت (علامة الاتفاق)، وهذه كلها من سمات سيادة آليات السوق عبر هذه المناسبات الاجتماعية، حتى أن بعض المراقبين أسموها - في لغة خطابهم الاقتصادي - بآليات الجنازة!

٥- وسيلة مناسبة لعلاج آلام الرقبة، إذ أن من السلوكات المرعية في مثل هذه

المناسبات، أن يلوى المرء عنقه في اتجاه فتحة السرادق أو باب دار  
المناسبات لمراقبة من الذى دخل، ومن الذى خرج، وكيف كان الداخلى  
يبدو، وعلى أى نحو كان الخارج يظهر، فإذا كان عنق الإنسان ملووحاً  
تجاه اليسار، عليه بالجلوس فى صف الكراسى الأيسر، حتى يلوح عنقه  
فى الجهة المعاكسة (يميناً) باتجاه الباب، وبالتالي تعادل فقرات الرقبة،  
وإذا كانت رقبة الإنسان ملوية تجاه اليمين، عليه بالجلوس فى صف  
الكراسى الأيمن، حتى يلويها فى الجهة المعاكسة (يساراً) باتجاه الباب،  
وبالتالى يستقيم وضع الفقرات المذكورة (ملحوظة هذه الطريقة مسجلة  
فى الكتب الأكاديمية الطبية باسم الدكتور عمرو عبد السميع، وهو -  
بالمناسبة - ليس طبيباً).

٦- ساحة ملائمة للإبداع الاجتماعى، إذ يخترع كل شخص نسقاً من  
التصرفات والسلوكيات التى يلتزمها فى جميع مراحل العزاء، وتصبح بعد  
ذلك مصكوة بعلامته التجارية، بحيث لا يستطيع أى شخص آخر  
استخدامها من دون استئذان صاحبها، وإلا عد ذلك اختراقاً لحقوق  
النشر، وتكريساً لحالة من حالات القرصنة الاجتماعية المقيتة.

وضمن العناصر التى تتشكل منها هذه الأنساق تظهر أنماط السلوك  
التالية:

فقبل باب السرادق بخطوات يعمد البعض إلى إغلاق أزرار السترة، ثم  
الإسراع فى خطوات قصيرة متتابعة تفيد معنى التلبية من شخص وقع عليه  
خبر الوفاة وقوع الصاعقة (لا بأس - هنا - من استعمال دبوس ذهبى لرابطة  
العنق على شكل صاعقة لتأكيد المعنى المطلوب)، ثم يُسلم على طابور أهل  
الميت المصطف على باب دار المناسبات، مع الغمغمة المناسبة بصوت  
مبحوح متحشرج، وبعد ذلك تقبيل شخص من أهل المتوفى تربطه به

علاقة، وذلك من أجل تعليية كعبه على بقية الأقارب، إذ تدور منافسة أخرى جانبية بين أهل الفقيد على عدد الذين جاءوا لتعزية كل واحد منهم، وبعد أن يستقر المعزى على كرسيه يبدأ في تحية من يعرفهم داخل السرادق، وقد يكون ذلك بخبط اليد (مفتوحة) على الصدر عدة مرات، أو برفعها إلى الرأس تحية وسلاماً، وقد يزيد البعض بسؤال أول شخص يتصادف جلوسه إلى جوارهم عن كيفية حدوث الوفاة، فيرد هذا الشخص - عادة - بأن المتوفى كان «زى الفل»، وطلب من ابنته كوباً من الماء، فلما ذهبت إلى المطبخ وعادت بالماء، وجدته قد ركن رأسه على ظهر الكرسي، وشعلق عينيه في السقف، فعرفت أن سهم القدر قد نفذ وصعد السر الإلهي، فسقط من يدها كوب الماء، بينما كان الأذان يؤذن، ثم يضيف: الله يرحمه كان رجلاً طاهراً، ولا بأس - حيثئذ - أن يهز السائل رأسه أسفاً، بينما يمصمص شففيه حسرة (ملحوظة أخرى: الممصصة - هنا - اختيارية، قد يؤديها الإنسان أو لا يؤديها حسب رغبته، أو وضعه الاجتماعي، أو قدرة الراوى على حبك حكاية مؤثرة).

٧- وهذا هو بيت القصيد، فإن المآتم وسرادقات العزاء، قد تكون ساحات شديدة الملاهمة للترويج لدور سياسى جديد، سواء كان دوراً لشخص أو لجماعة، وهى - بالطبع - ساحة لم تفت النجم الساطع طلبة هريدى، وهو يهندس ملامح دوره السياسى الجديد.

.....

كان طلبة قد كلف كل من ماهر عبد الهادى، ونور أحمد السعيد، وسيف صلاح الدين، بالقراءة المتأنية اليومية الدقيقة لصفحات الوفيات بالجرائد اليومية، مع رسم خرائط اجتماعية تفصيلية، لشبكة علاقات القربى والمصاهرة لكبار المسؤولين فى الحكومة والأحزاب، بحيث لا يمضى

حادث وفاة واحد من دون اقتناصه وتوظيفه لخدمة دوره السياسي الجديد .

وبين كل الملابس المرصوفة في خزانة ملابس طلبة، كان هناك زى لكل مناسبة، البلوفر المقطوع والكوفية الفلسطينية والحذاء الكاوتشوك، كانوا العمود الفقري للملابس النضال التي اعتاد طلبة أن يظهر بها في محفلات حزب الترقى أيام الكفاح المستعر، أما الحلة «السفاري» القريبة الشبه من الملابس العسكرية، فكانت للزيارات التي يقوم بها لمقار الأحزاب أو للسفريات التي كان يمثل فيها حزبه في الخارج، وهي الملابس التي توحى - لا يعرف أحد لماذا - بالعمل السياسي، ربما لقرابها من شكل الزى الموحد الذي كان يصرفه الحزب الشيوعي الصيني لأعضائه .

ثم بعد هذا حلة التعازي التي فصلها - خصيصاً - من أجل دوره السياسي الجديد، والمصنوعة من قماش كحلي غامق وفاخر، وتحتها قميص سماوي غامق، ورابطة عنق وقورة تمتزج فيها الألوان: الرمادي والبنفسجي والأزرق، ثم مندبل أبيض محاييد لجيب السترة، مع تثبيت إنسيال ذهبي صغير على ياقة الجاكيت عليه الحروف: U.S.A، حتى يعلم من شاء أن يعلم، ويفهم من شاء أن يفهم، أن طلبة مؤيد من القوة العظمى الوحيدة في عالمنا، وإن كان طلبة يدرك - جيداً - بناء على الشواهد وردود الأفعال التي راقبها - حتى الآن - أن حكاية تأييد الولايات المتحدة، وموقف السفير الأمريكي مستر إدوارد ووكر المشرف من دوره السياسي الجديد، قد أصبحت على كل لسان في القاهرة المعز، إلا أنه تعود ألا يترك شيئاً للاحتتمالات، إذ ربما يكون هناك بعض المتبلدين الذين لا يصيخون السمع، في أروقة الحكم، أو مقاهي المثقفين، لم تبلغهم بعد مسألة دوره السياسي الجديد .

وبعد أن أخرج طلبة هذه الحلة من خزانة ملابسه، أمسك بقصاصة ورقية صغيرة كتبها له سيف صلاح الدين، وتحتوي قائمة بالمعازي التي

يرشحها لطلبة تلك الليلة، ومع كل اسم لمتوفى من نجوم هذه المآتم، أرفق سيف بضعة سطور توضح نسبة الميت إلى مسؤولى الدولة وكبرائها.

وكالعادة كان طلبة يختار المآتم الأكثر ثقلاً ولمعاناً، أو يقرر حضورها جميعاً، إذ لم يك مشغولاً.

بدأ طلبة في قراءة الاسماء التي احتوتها قائمة الليلة، باهتمام متوسط، ثم فجأة، جمد مأخوذاً، وأعاد قراءة السطر الأخير: «المرحومة قريبة ونسبية عائلات الشاذلى بالمنوفية...»، ثم طالع مذكرة سيف الإيضاحية التي أكدت هواجسه ووطنه، فالمتوفاة قريبة من بعيد جداً لكمال الشاذلى وزير الدولة لمجلسى الشعب والشورى وأمين التنظيم بالحزب الوطنى الديمقراطى.

«إذن سوف تكون الليلة آخر جنجلة».

قالها طلبة متمتماً لنفسه، ثم أردف:

«لابد من الإسراع حتى لا تفوتنى فائتة».

.....

دار المناسبات فى مسجد عمر مكرم، تسبح فى الضوء، بينما وضعت لافتة على جانب الباب مكتوب عليها اسم الفقيده بالبنط الرفيع، وتحتها بالبنط العريض سَطرت عبارة: «قريبة الوزير كمال الشاذلى من بعيد جداً».

أقارب المتوفاة اصطفوا على باب الدار فى خشوع، وأولهم سيادة الوزير، بينما العربات السوداء لكبار المسؤولين تكد متتابعة فى سرعة لتقف أمام مداخل السرادق، حيث ينزل منها المسؤولون، ثم تمضى - ومعها عربات الحراسة - إلى ساحة انتظار السيارات.

رجال المرور يتنادون في صخب، من أجل إفساح الطريق لعربات المسؤولين، وقد تناثر بعض الجنود يحملون عصياً حمراء مضيئة للإشارة بها إلى السائقين.

الجميع في داخل دار المناسبات جالسون في وضع علاج الرقبة، الصف الأيمن كله ملتفت إلى اليسار، والصف الأيسر بأكمله ملتفت إلى اليمين، والأنظار معلقة بباب دار المناسبات من أجل الرصد والمتابعة، والعسس.

سيارة طلبة البيجو ٦٠٥ موديل ١٩٨٩ تنهذى لتقف أمام باب السرادق، ثم تمر لحظات من دون أن يفتح أى باب من أبوابها لفتناً للإنتباه، ثم فجأة يقفز ماهر عبد الهادى ونور أحمد السعيد من البابين الأمامى والخلفى على اليمين، ويترك سيف صلاح الدين عجلة القيادة، ويندفع إلى خارج السيارة ليفتح بابها المجاور لطلبة، الذى ينزل بتؤده، ويرفع يده بالسلام لرجال المرور، الذين يميونه - جميعاً - تحية عسكرية ظناً منهم بأنه أحد المسؤولين.

طلبة يصعد الدرج ومعه ماهر ونور، بينما يذهب سيف لركن السيارة في مساحة الانتظار، ويصافح طلبة الوزير كمال الشاذلى بيده اليمنى، ويستند بكفه اليسرى مرفق الوزير، ثم ينفض على وجنتيه مقبلاً بتأثر مفاجئ، بينما تسيل دمعة ساخنة من طرف عينه، ويغمغم:

«البقية في حياتك يا فندم . . طلبة عبد الرحمن يوسف هريدى».

ثم واصل السلام على بقية أقارب الفقيدة، ولدهشة نور وماهر، فإن طلبة لم يدخل إلى السرادق ليجلس مع المعزين، وإنما وقف مع أقارب المتوفاة لتلقى العزاء، ولم يعرف نور وماهر ماذا يفعلان، فوفقاً إلى جواره، وفعلها يفعل.

كان طلبة ينتهز الفرصة ، وسط السلامة على المعزين ، لينظر بطرف  
عينه موسياً للوزير كمال الشاذلى ، بينما رفع حاجبيه على شكل رقم (٨)  
ليضفى على نفسه إحساساً زائداً بالتأثر والحزن ، ثم يواصل بعد ذلك  
مصافحة المعزين وتقبيلهم جميعاً !  
«لقد بدأت الليلة تسخن» .

قال طلبة لنفسه ، حين أبصر وفود الحزب تتقدم فى شكل مواكب مترابطة  
الصفوف ، وقد حمل كل موكب منها لافتة سوداء يحدد بها موقعه الحزبى  
والتنظيمى ، فهذا موكب تتقدمه فايذة كامل يرفع لافتة مكتوب عليها  
شياخة الخليفة ، وهذا موكب اللجنة الاقتصادية للحزب يتقدمه الدكتور  
سمير طوبار ، وهذا موكب مدينة نصر تتقدمه الحاجة ثريا لبنة .

بينما حمل الأفراد الممثلين للمستويات الأدنى من الحزب باقات ورود  
ضخمة ، أحاطتها شرائط ورقية بنفسجية مكتوب عليها كلها بالفضى :  
«إلى جنة الخلد» (إذ كان هذا هو الشعار الموحد الذى عممته الأمانة  
العامة للحزب صبيحة الوفاة) .

ووسط اندماج طلبة فى السلام على المعزين كان سيف قد وصل بعد أن  
ركن السيارة ، وما أن صعد الدرج وبدأ السلام على أقارب الفقيدة ، ووصل  
إلى حيث يقف طلبة ، حتى أخذه الأخير بالأحضان ، وأجهش بالبكاء على  
كتفه ، منهنها بصوت مسموع ، ومهتراً بشدة من قمة رأسه إلى إخمص قدمه ،  
وقد أثار المشهد شفقة جميع أقارب الفقيدة وتأثرهم ، حتى أن الوزير ترك  
موقعه واصطحب طلبة إلى الداخل ، وطلب له كوب ماء من أحد النادلين .

شبك طلبة يده فى يد كمال الشاذلى ، وبدأ يقوده إلى صف الكراسى الذى  
يتصدر السرادق ، والذى يخصص - عادة - لكبار المسؤولين ، واختار -



بعناية - كرسياً يقع إلى جوار مقعد مثبت فوقه لافتة مكتوب عليها : «مندوب  
سيادة رئيس الجمهورية»!

جلس كمال الشاذلى إلى جوار طلبة قائلًا: «تشجع يا أستاذ كلنا لها»  
فغمغم طلبة بكلمات لم يتبين منها الوزير سوى «أصل المرحومة كانت عزيزة  
على خالص»، وأحس طلبة أن العيون كلها أصبحت معلقة به، فبدأ الشغل  
على الفور.

نظر إلى الدكتور يوسف وإلى الأمين العام للحزب، وربت بيده المفتوحة  
على صدره علامة التحية، فجأوبه الدكتور وإلى بمثلها رغم أنه كان يغالب  
النعاس بقوة، ثم فط ونط من جوار كمال الشاذلى بعد أن كان يبدو حطاماً  
إنسانياً منذ لحظات، وخف ليستقبل الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس  
الشعب، الذى كان قد دخل لتوه يتبعه حراسه الأربعة حاملين الرشاشات،  
وأصطحب فتحى سرور إلى حيث يجلس كمال الشاذلى، وقعد إلى جوارهما  
مثبتاً عينيه فى كل الحضور من الوزراء والمسؤولين، ولاحظ أن هناك سكتة  
زمنية تعقب وصول كل مسؤول، وحرار فى فهمها، حتى هداه تفكيره إلى أن  
كل واحد منهم يُقيّم ذاتياً - من خلال هذه السكتة الزمنية - ما حصل عليه  
من «سوكسيه» حين دخوله.

كما أدرك طلبة أن أحداً من الحضور لم يلحظ الإنسيال الذهبى المثبت على  
ياقة سترته، والذى يحمل الحروف الثلاثة المشهورة: U.S.A، فبدأ - على  
الفور - تنفيذ خطة بديلة.

اختار مقعداً بجوار شخص من أقارب الفقيدة، يقع على مقربة من  
كراسى المسؤولين، ثم وجه إليه السؤال التقليدى: «كيف حدثت الوفاة؟»،  
فأجابه بتأثر شديد وتقليدى أيضاً: «الست كانت زى الفل، وإمبراح وهى  
قاعدة تتفرج على التليفزيون، طلبت من بنتها كوابية ميه، فراحت تحببها

من المطبخ، وأول ما رجعت لقيتها ركنت دماغها على ظهر الكرسي، وعينيها مشعلقة في السقف، فعرفت إن سهم القدر نفذ، وإن السر الإلهي طلع، والآذان كان بيدن . . . أصل المرحومة كانت ست طاهرة جداً . . .»، وانخرط الرجل في بكاء شديد، بينما طالبة يربت ظهره، ويمز رأسه أسفاً، ويممص شفثيه حسرة (ملحوظة ثالثة: أصر طالبة على موضوع الممصصة رغم أنه اختياري، لأنه رجل يجب الشغل على أصوله).

وبعد أن هدأ الرجل، بدأ يتبادل حديثاً قصيراً مع طالبة، الذي ما فتأ يشير إلى الانسيال الذهبي، ويلكز الرجل إلى جواره بكوعه في جنبه حتى يلفت نظره، فسأله الرجل السؤال المطلوب: «هوه البيه من أميركا؟!»، وهنا رفع طالبة عقيرته بالإجابة بصوت زاعق يسمعه الجالسون في السرادق من أوله إلى آخره، وحرص على أن يتكلم ببطء ووضوح حتى يسمع الجميع، وقال وسط اللغظ والههمة السائدة في السرادق: «أبدأ والله . . . ولا أميركاني ولا حاجة . . . بس حضرتك عارف أنا شاعر مناضل، وبارسم ملامح دور سياسى جديد بعد انهيار الشيوعية، ودورى السياسى ده مؤيد من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، والسفير الأمريكى، نقول كمان مرة: مؤيد من قبل الولايات المتحدة الى عاصمتها واشنطن، والسفير الأمريكى فى القاهرة الى اسمه إدوارد ووكر، وجميع الأحزاب السياسية ومراكز البحوث والمنظمات غير الحكومية بتأيدينى وبتتصل بيه . . . نقول كمان: جميع المؤسسات الى بتبنى الليبرالية والمجتمع المدنى وحقوق الإنسان بتأيدينى وبتتصل بيه، والمسائل كلها ح تتكفل بيها فورد فونديشن وهيئة المعونة الأمريكية فى القاهرة . . . نقول كمان جامد: ح تتكفل بيها فورد فونديشن وجون ويسلى مدير هيئة المعوونة الأمريكية فى القاهرة».

كان الرجل إلى جوار طالبة لا يدرك السبب الذى من أجله يصرخ طالبة، إلا أن الأخير لاحظ أن الصمت الرهيب قد ران على السرادق، وسكت

اللغو واللغظ والهمهمة تماماً، وحتى المقرئ بعد أن قرأ الربع الذي كان بصدد قراءته، أصاخ السمع كلية وأمعن النظر إلى طلبة، بينما كان يرتشف رشفات متتابعة نهمة من كوب الينسون الذي يمسك به بيد ترتعش من فرط التوتر.

وما أن انتهى طلبة من تلاوة رسالته التي يريد إيصالها للجميع، حتى لاحظ علامات تغيير دراماتيكي في دار المناسبات، فإذا باللامح الجامدة المتغطرة لكبار القوم، تستحيل قسبات تطفق بالبشاشة، وإذا شفاههم المنعقد عليها تعبير القرف النبيل، أو الحزن الدفين والأشمئط وهو ذات التعبير الذي يعلو وجهه من يعانى الإمساك، تنفرج عن ابتسامات ودودة، ناعمة، وطرية، وكلها حنية.

وانقلب السرادق رأساً على عقب، فإذا بالجميع يقومون للسلام على طلبة، وقبله البعض من فرط الانفعال، على حين كان كل منهم يدس في يده كارتاً على سبيل التعارف، فيعطيه إلى ماهر أو سيف بلا اهتمام.

وتقدمت وفود الحزب تحمل اللافتات المشيرة إلى مواقعها ومسؤولياتها التنظيمية، إلى المكان الذي يقف فيه طلبة حيث يصفحه الجميع بانبهار، بينما يقدم له البعض طلبات بالسباح باستيراد صفقة حديد تسليح، أو عدة آلاف من الفراه القاسدة أو السليمة حسب مقتضيات الحال، أو يعرضون عليه مشاريع القوانين المقدمة إلى مجلس الشعب مع تحديد لمواطن الثغرات فيها، وكان يكتبها بكتابة تأشيرة موحدة عليها جميعاً تقول:

«إلى السيد المسؤول . . برجاء عمل اللازم في حدود الدستور والقانون . . مع تحيات طلبة عبد الرحمن يوسف هريدي».

ثم كان ماهر عبد الهادي يوقع: «برجاء الإفادة»، ثم نور أحمد السعيد: «بعد الرجوع للائحة . . لا مانع»، ثم سيف صلاح الدين يؤشر: «روجع»!!

وفى نهاية الليلة كان طلبة يقف مع الفرسان الثلاثة على باب دار  
المناسبات .

بينما يصافحه الجميع مقبلين ، وهم يومثون - بطريقة خاصة - إلى  
الانسفال الذهبى المثبت على ياقة سترته ، ويحرص كل منهم على أن يذكر  
اسمه بوضوح وبصوت عال ، فيما يكتفى هو - وقد رسم على وجهه تعبير  
القرف النبيل وهو ذات التعبير الذى يعلو وجه من يعانى الإمساك - بالتمتمة  
بشكل سريع :

« سعيكم مشكور » !!!

القالوزج واللّوزنج  
والتهر هندي

تررن .. تررن .. تربيت .. تيريرو .. ترن .. بيريم .

لم ينقطع رنين الهاتف في بيت طلبة طوال الأيام الماضية، صحفيون، ممثلون لمحطات تليفزيونية عربية ودولية، دبلوماسيون، رجال أعمال، فلاحون، عمال، مثقفون، وانهازية وطنية مصرية .

الجميع يحاولون الالتحام بمشروع طلبة السياسى، ويبحثون عن موقع لأقدامهم في إحدى عرباته المنطلقة بسرعة القطار التوربيني الفاخر .

عمليات الظهور السياسى المكثف، وردود فعل حكاية السفير الأمريكى، ما زالت تتفاعل في المدينة، هذا بالإضافة إلى مقالات التفسير الليبرالى لأشعار طلبة هريدى، التى ملأ الشباب بها صفحات الجرائد المصرية (قومية أو حزبية)، والعربية (من الخليج إلى المحيط) .

سيف وماهر ونور يتناوبون الرد على الهاتف، ويعيشون أحلى لحظات الفخر والحماسة، حتى أن سيف علّق على جدار الصالون لوحة ضخمة مكتوب عليها بالخط العريض :

«ونحن إناس لا توسط عندنا

لنا الصدر دون العالمين أو القبر»

ماهر يجرى للرد على الهاتف، ويرفع ساعته بطريقة آلية، لا روح ولا مشاعر فيها، ويتحدث بقرف شديد، مشوب بالغطرسة والتعالى :

«ألو .. لا يافندم .. الأستاذ مش موجود .. ما أظنح ح يقدر ..  
صحفيين كتير قوى طالين مواعيد .. لا لا لا لا لا لا اه .. قصة حياته ..  
كده حته واحدة .. لا لا لا لوو .. ده خلاص تعاقد عليها مع اتحاد  
الإذاعة والتليفزيون .. أيوه .. الأستاذ ممدوح الليثي كان عنده النهاردة  
ومعاه الأستاذ أسامة أنور عكاشة .. ومضوا عقد .. ح يعملوا قصة حياته  
تسع أجزاء .. كل جزء أربعين حلقة .. عنوانها .. أيوه يا سيدى ح يبقى  
.. ليالى الليبرالية .. لا .. لسه ما تفقوش على الأبطال .. لا أوع تنشر  
حاجة إلا لما الأستاذ يقول .. أهلا بيك .. مع السلامة».

ما كاد ماهر يضع الساعة حتى بدأ الرنين من جديد، نور يجرى - هذه  
المرّة - ليرفع الساعة، ثم تبين أنه لا يعرف ماذا يفعل، فأخذ يرد بطريقة آلية  
لا روح فيها ولا مشاعر، مقلداً ماهر، ومتحدثاً بقرف شديد، مشوب  
بالغطرسة والتعالى:

«ألو .. بتقول مين .. سفير جزر القمر؟! .. لا يافندم الأستاذ خرج  
.. وبعدين هوه ما بيكلمش غير سفراء الدول الكبرى بس .. أيوه أيوه ..  
صحيح هو صاحب قصيدة أشهد يا قمر على محنة البشر .. لكن ده مش  
معناه إن له أى علاقة بالجزر بتاعتكو .. لا يافندم برضه مالوش علاقة  
ببوركيينا فاسو . بتقول إيه سفيرها قالك إنه صديقه؟! .. لا لا لا لا لا  
ااه .. ده تلاقيه غاوى شهرة .. أنا أؤكد لك أن الأستاذ لا يخاطب إلا  
القوى العظمى .. أو - بتنازل شديد - القوى العظمى إلا قليلا .. لا  
مفتكرش ح قدر أرتب لك أى ميعاد معاه .. مع السلامة».

«أف ف ف» قالها نور بضجر قبل أن يبدأ الرنين من جديد، ولكنه كان  
رنين جرس الباب هذه المرة، فجرى سيف بعد أن عدل ملابسه توقعاً لأن  
يكون الأستاذ هو الهاتف الداعي، وفتح الباب بلهفة، ولكنه أصيب بخيبة  
أمل شديدة حين وجد أمامه رجلاً يرتدى ملابس غريبة، عمّة خضراء،

ومسبحة طويلة جداً تأخذ وضع الوشاح على صدره، وقد علق على كتفه جراباً ضخماً من الخيش مرسوم عليه هلال أخضر كبير.

وضع الرجل يده في الجراب وأخرج مظروفاً ضخماً أعطاه لسيف وقال:

« هذا المظروف للأستاذ طلبة من الجماعة . . بارك الله فيك يا أخی » .

وقبل أن ينبس سيف بينت شفه كان الرجل قد اختفى، كمثل ما يختفى جنى علاء الدين في المصباح، تاركاً سيف في حيرة شديدة، يمسك بالمظروف في يده، وينظر إلى حيث كان الرجل يقف بذهول كامل .

نظر سيف على المظروف فوجد شعاراً على شكل بياضوى مرسوم فيه سيفين، ومكتوب عليه (وأعدوا) وتحت كلمة الإخوان المسلمون . . ثم بخط كوفي بديع:

« معالى الأستاذ طلبة بن عبد الرحمن بن يوسف بن هریدی حفظه الله . .

خصوصی . . وشخصی . . وعاجلٌ »

كانت رائحة نفاذة ومألوفة تنبعث من الخطاب، واستفزت هذه الرائحة كل قدرات سيف في الشمشمة محاولاً تذكرها والتعرف عليها، حتى هداه أنفه إلى أصلها وفصلها، إنها نفس رائحة السائل الشهير الذى تعود بعض ماريشالات سيدنا الحسين أن يلحوسوا به أيدي المارة أمام المسجد، والذى يصعب التخلص من أثره في الخمسة ساعة الأولى التي تلى اللحوسة .

وقبل أن يفیق سيف من تأملاته ويدخل إلى الشقة من جديد، كان الأستاذ قد وصل في حالة من الحبور والتألق النادرين، وداعب سيف بالتريب على صدغه قائلاً: « هيه يا أبو السيوف . . إيه أخبار الأعماد؟! » .

لم يرد سيف، ولكنه سلم الخطاب إلى الأستاذ ودخل خلفه إلى الأنتريه بعد أن أغلق الباب، وهو يتطلع إليه وإلى المظروف بفضول مستعر.



طلبة فتح المظروف بثقة من يعرف محتواه، فوجد خطاباً من المستشار  
مأمون الهضيبي المتحدث الرسمي باسم الجماعة المحظورة، هذا نصه :

سعادة الأستاذ / طلبة بن هريدى

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقيم الجماعة سباطاً مشهوداً على شرفكم - بإذن الله - مساء غد الأربعاء  
السابع من شوال عام ١٤١٥ هـ. الموافق الثامن من مارس عام ١٩٩٥ م.  
وسوف تكون هذه فرصة طيبة لتتحدث معاً في شؤون البلاد والعباد،  
ولتبحث أمر مشاركتنا في دوركم السياسى الجديد، ولتناقش ما قدرتموه على  
الجماعة من نصيب مستحق في رفع أعبائكم المالية بعد انهيار الشيوعية، ولا  
حول ولا قوة إلا بالله .

وسوف يقام السباط في مقر مجلة «الدعوة» ١ ش سوق التوفيقية بالقاهرة.

حفظكم الله وركام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المستشار : محمد مأمون الهضيبي

ابتسم طلبة، فيما سرت في جسده رعدة خفيفة من فرط النشوة، والشعور  
بالانتصار، بينما وقف ماهر وسيف إلى جواره، ولم يعرف نور ماذا يفعل،  
فتظاهر بأن رعدة خفيفة سرت في جسده من فرط النشوة، والشعور  
بالانتصار!!

.....

وفي المساء المشهود، وقفت سيارة طلبة البيجو ٦٠٥ موديل ١٩٨٩  
المعروفة إلى جوار مسرح الفن في الزقاق الذى يفصل شارع الجلاء عن شارع

رمسيس، وتمشى الجميع في سوق التوفيقية إلى حيث الموعد، فمن الصعب ركن السيارات في مكان أقرب من هذا.

كان طلبة يسير في المقدمة، ومن خلفه الفرسان الثلاثة، متلفتاً بنجومية ظاهرة إلى المارة، والبائعين الواقفين إلى جوار عرباتهم، وقد رصت على العربات أهرامات صغيرة من ثمار الفاكهة، وفوقها لافتات مكتوب عليها الأسعار، وهم منهمكون في تغيير هذه اللافتات بأخرى كل دقيقة ونصف بالضبط (المعدل الزمني المتفق عليه لزيادة الأسعار)، وتعرف البائعون على طلبة، إذ يُعتبر هؤلاء البائعين من أهم المتعاملين مع الصحف، حيث يلفون بأوراقها كل بيعة فاكهة، ولما كانت صور طلبة قد ملأت الصحف في الآونة الأخيرة، فقد كان من الطبيعي أن يعرفه التجار، ويشيرون إليه، أو يحيونه بتقديم تفاحة حمراء لامعة، أو أصبع من الموز المستورد الفاخر.

وصل الركب إلى ١ ش سوق التوفيقية، وتعرف طلبة على باب البناية بصعوبة، إذ أن الفراجى الملاصق للباب، كان قد رص تلالاً من أقفاص الطيور تحجب الرؤية وتمنع النظر.

ووسط الكاكاو، والكوكوكو، والكركركر، والريش والدماء المتناثرين على الرصيف، خطا فرسان الركب خطواتهم إلى الباب، بينما أسرع ماهر بتقديم منديل ورقي إلى طلبة ليضعه على أنفه التي زكمتها روائح مخلفات الطيور الصلبة والسائلة والغازية.

صعد طلبة الدرج إلى الدور الثاني، حتى أبصر لافتة مضاءة بالنيون الأخضر مكتوب عليها «مجلة الدعوة»، بينما كانت رائحة البخور تنبعث من الداخل بقوة، وقد وقف على الباب ساعى ضخم الجثة، جامد الملامح، ما أن رأى الصاعدين حتى صاح: «إسعى وصلّى ع النبي».

دلف الجمع إلى داخل المقر، حيث اصطفت في المدخل على الجانبين مجموعة من الرجال، بعضهم ملتحين، وبعضهم حليقي الذقون، ولكن

الجميع كانوا يتصببون عرقاً، فيما يرتدون معاطف واسعة من الصوف السميك، تشبه تلك التي كان الجنود الألمان يرتدونها في الحرب العالمية الثانية، وفي المواجهة وقفت ترويكا الإخوان الشهيرة : المستشار حامد أبو النصر المرشد العام في الوسط، والمستشار مأمون الهضيبي المتحدث الرسمي على اليمين، والأستاذ مصطفى مشهور نائب المرشد على اليسار.

أحس طلبة أنه مدين بتفسير لجماعته حول موضوع المعاطف هذا، فهمس لهم بسرعة: «لعلكم سمعتم بعض الدعاوى التي تقول بأن كل جماعات التطرف خرجت من معطف الإخوان. . ولما كانت هذه الجماعات كثيرة ومتعددة فقد كان طبيعياً أن تتعدد المعاطف وتتسع. .!»

وقبل أن يستطرد، كان محمد عبد القدوس الكاتب الصحفي وعضو مجلس نقابة الصحفيين المستقيل قد تقدم مصافحاً، ومقدماً طلباً إلى ترويكا الإخوان حيث صافحه أعضاؤها بحرارة ضافية، وفي أثناء السلامة وعبارات التحية والمجاملة استلم محمد عبد القدوس أذن طلبية هامساً فيها بلا توقف «أهلاً يا عمنا. . أنا سمعت إنك عضو نقابة وليك صوت. . متسنناش يا عمنا. . أنا عارف إنك كنت من أشد المعجبين بالسيد الوالد. . أنا سمعت عن دورك السياسي الجديد. . وعقبال بقى ما تخش معسكرو المؤمنين يا عمنا. .»

بعد أن صافح طلبة وجماعته أعضاء الترويكا، داروا على أعقابهم من أجل مصافحة بقية الرجال لابسى المعاطف، ولما انتهوا دعاهم المستشار حامد أبو النصر للدخول إلى حيث مائدة العشاء.

كانت المائدة على شكل مربع ناقص ضلع، مغطاة بمفارش بيضاء نظيفة كالفل، وفوقها رصت الأطباق والاقداح، والفضية، وتوسطتها متتاليات متكررة من أطباق تحتوى طيوراً غريبة الشكل جداً، محشوة بالأرز

والمكسرات، وأطباق أخرى فيها حيوانات غريبة الشكل أيضاً، و جداً أيضاً، وإلى جوارها أطباق الثريد، والفالودج، واللودنج، وبضعة شومبينيرات تطل منها أعناق زجاجات تحتوى سائلاً بنيةً وتحوطها مكعبات الثلج التي يتصاعد منها الدخان من فرط برودتها .

أحس طلبة أنه مدين - من جديد - بتفسير لجماعته حول أنواع الطعام المرصوفة أمامهم، فمال عليهم بعد أن جلسوا قائلاً بصوت خافت، ومستعرضاً معرفته أمام جماعته، بوصفه المثقف الحقيقي الوحيد فيهم: «قائمة الطعام - هذه - منتقاة بعناية لتجسد أمامنا معنى الأصالة والعودة إلى التراث، فالطيور الغربية المحمرة والمحشوة أمامكم هي طيور الرخ الصغيرة، المعروفة باسم «مينى رخ» أو «بيى رخ»، ويراعى أن تؤكل هذه الطيور صغيرة، لأن الكبير منها - عن خبرة وتجربة - ذو لحم يشد على الأسنان حتى يضعضعها، أما الحيوانات الغربية المشوية فهي ديناصورات صغيرة (مقلوطة)، وتتم تربية النوعين، وتسمينهما في مزرعة إسلامية يملكها أحد الإخوان على طريق مصر/ إسكندرية الصحراوى، وتسمى «الأندلس جوراسيك بارك» ، بعد أن تم استنقاذ البقية الباقية منها من خطر الانقراض، حفاظاً على معنى الأصالة، والعودة إلى القديم، فقد كانت طعاماً مستحباً في الممالك والإمارات المفتوحة» .

أما الثريد - أضاف طلبة - فهو الفتنة أو الفتيت، بمعنى من المعاني، وهو الذى ينبغى أن يكون غارقاً فى الإدام الموحج بالمصطكى وحب الهان، ومرصوص فوقه قطع من اللحم المهبر أو الهرايم المحمر حسبما يتيسر لأى ست بيت، ونأتى للفالودج واللودنج، اللذان تعبت - كثيراً - حتى عرفت معنى كل منهما، فقد ذكر المعجم الوسيط أنها من أصل فارسي، وأن الفالودج هو حلواء هلامية رجراجة تُصنع من الدقيق والماء والعسل، أما اللودنج فهو من الحلوى شبه القطائف ويؤدم بدهن اللوز ويتردد كل منهما

من العصر المملوكي، أما الزجاجات ذات السائل البنى في الشومبينيرات فهي زجاجات التمر هندي، وهو المشروب الذي أشير له - للمرة الأولى - في تأريخ ابن إياس «بدائع الزهور في وقائع الدهور» ويتردد من العصر المموكى أيضاً».

«الله يفتح عليك يا أستاذ» قال نور، ثم أردف مشيراً بأصبعه في خجل إلى طبق يحتوي شيئاً أسود، سُكب فوقه سائلاً أحمر قانياً: «وما هذا يا أستاذ؟».

قال طلبة مستعلماً تياًها: «هذا طبق من حبة البركة بالكتشب، وهو من الأطعمة التي يهتم الإخوان بها كثيراً، باعتبارها من الأطعمة المانحة».

واصل نور أسئلته المشبعة بالفضول: «مانحة ماذا يا أستاذ طلبة؟!».

فأجابه طلبة بضجر: «مانحة البركة يا حمار ألم تتبين هذا من اسمها».

ووسط هذه المحاضرة الدافقة، كان الجميع يأكلون بنهم، والشهادة لله كان الطعام شهياً ولذيذاً، حتى أن طلبة وجماعته لم يبقوا ولم يذروا.

وبدأ أحد الساعة في صب التمر هندي في الأقداح، فشرب الجميع، محاولين بلع ما لهطوا، وبشم أعضاء الإخوان من الأكل، وبدأوا في التجشؤ، حيث كان التجشؤ السميك من القرار الصوتي من نصيب الحرس القديم، بينما كان التجشؤ الرفيع من الجواب الصوتي من نصيب شباب الإخوان.

وبعد العشاء، قام الجميع إلى غرفة المستشار مأمون الهضيبي لتناول أكواب الشاي بالقرنفل تصاحبها بضع حبات من البندق والزبيب، وبادر المستشار طلبة قائلاً: «أظنك من مصر الجديدة يا أستاذ طلبة، فأنا أراك كثيراً هناك، حيث أسكن بالقرب من ميدان الجامع».

فهم طلبة مغزى السؤال وأجاب: «الحقيقة أننى أذهب إلى مصر الجديدة في بعض الأعمال، ولكننى لا أحبها، فأنا من عشاق مصر القديمة»، فضحك المستشار الهضيبى وسُرِّيَّ عنه.

وعندما جاء وقت الكلام في السياسة، بدأ الأستاذ مصطفى مشهور الحديث قائلاً: «لقد علمنا يا معالى الأستاذ طلبة، بما قدرته على الجماعة من نصيب في رفع أعبائك المالية بعد انهيار الشيوعية، ولا مانع لدينا في أن ندفع صاغرين، فجيوب الإخوان دائماً عامرة، والساتر هو الله، ولكننا - كما تعلم - نوصف في كل مكان بأننا جماعة (محتظرة) أو (منحلة)، وبالتالي سيصعب علينا أن نحدد وضعاً قانونياً لنا، يسمح بأن ندفع لك، فنحن نريد حزباً - أولاً - حتى تتمكن من دفع المعلوم».

أجاب طلبة: «تحدد الوضع القانوني هو أمر من شأن الجهات القانونية المختصة، ولكن - بغض النظر عن كونكم جماعة محتظرة أو منحلة - فأنتم تمارسون أنشطة عدة وتصرون البيانات وتوزعونها بالفاكس، وتنتخبون مرشداً عاماً، وتنسقون مع تنظيمكم الدولي عبر الحدود والمسافات، فلماذا لا تضيفون على هذه الأنشطة نشاطاً إضافياً صغيراً هو دفع فلوس طلبة؟!».

ابتسم الأستاذ مصطفى مشهور وقال: «إذا لم يكن في الإمكان ظهور وضع قانوني لنا، فنحن - على الأقل - قادرون على التحالف مع القوى الأخرى المعترف بها، ولقد سمعنا عن قوتك الجديدة البازغة، التي تسعى لممارسة دور سياسى جديد، والتي تتمتع بدعم وتأييد القوة العظمى الوحيدة في عالمنا، وبرعاية السفير الأمريكى في القاهرة مستر إدوارد ووكر، فلماذا لا نتحالف معاً، ويد الله مع الجماعة؟! ولقد نشرت بعض التقارير الأجنبية أننا كنا نتصل مع السفارة الأمريكية في وقت من الأوقات، وبغض النظر عن

صحة هذه المعلومات من عدمها، فإنها تفرش أرضية مناسبة أمام تحالفنا» .  
أخذ ماهر وسيف يلكزان الأستاذ في جنبه محذرين من التورط، فالإخوان  
هم ملوك التحالفات، وسوف يأخذون هذا التحالف - من وجهة نظرهما -  
سليماً يرتقون به إلى وضع جديد، فإذا ما وصلوا إلى هذا الوضع، ركلوا  
السلم، فلا هم نزلوا، ولا صعد أحد.

وفهم طلبة ما يريده ماهر وسيف فهمس في أذن ماهر: «النوايا متبادلة يا  
جميل . . وأخوكم الكبير لحمه مر . . ولا بأس أن ندخل في المباراة، وسنرى  
من الراجح في النهاية، المهم - الآن - أن نحصل على المعلوم» .

ثم قال طلبة بصوت عال: «على بركة الله يا أستاذ مصطفى . .  
نتحالف . . وسوف أخبر أصدقائي في السفارة بما تم» .

غمغم الكل: «على بركة الله»، وقاموا ليصافحوا طلبة الذي استأذن  
للانصراف، بعد أن شكر الجميع على ضيافتهم وحفاوتهم .

وعلى السلم، استلم محمد عبد القدوس أذن طلبة مرة ثانية هامساً:  
«أوعى تنسانا يا عمنا . . فوق ١٥ . . هه . . فوق ١٥ . . وتيجى بدرى  
عشان النصاب يا عمنا» .

.....

ما أن وصل طلبة وجماعته إلى السيارة، وركبوا جميعاً، حتى صدرت من  
نور صبيحة فرقة ملتاعة: «يا خبر . . أنا نسيت يا أستاذ، أسلمك مظروف  
تاني، جابه واحد مناخيره كبيرة النهاردة الصبح، ومارضيش يقول اسمه  
وقاللي . . قول للأستاذ إن . . (إتش . إس) هو اللي جاب الظرف ده» .

طارت الكلمات الغضبية من فم طلبة كحمم بركان فائر، وعلا صوته  
المتأجج بالثورة قائلاً: «بتقول إيه . . إتش . إس . . جاب لك ظرف يا حمار

ونسيت تسلمولي . . أعمل فيك إيه . . أعمل فيك إيه . . هات الظرف جتك نيلة» .

مد نور يده المرتعشة بالظرف - بعد أن أخرجه من جيب سترته الداخلي - إلى طلبة، الذى نشه بعنف وغضب مستشيط، وتأمل الظرف من الخارج حيث تصدرته عبارة: «حرية - اشتراكية - وحدة»، وحرفا (H.S)، ثم فتحه وأخرج منه خطاباً مطويًا .

كان إتش . إس، هو عميل طلبة السرى فى أوساط الناصريين، وقد كلفه طلبة بتقديم تقارير مكتوبة يمده فيها بأهم المعلومات، عن الطريقة التى استقبلت بها الفرق الناصرية، مطلبه بمشاركتها فى دفع نصيب معين لرفع أعبائه المادية بعد انهيار الشيوعية، ومطلبه - كذلك - بأن تعقد هذه الفرق مؤتمراً عاماً تبحث فيه الطريقة التى ستقوم بالسداد من خلالها .

فتح طلبة الخطاب بينما التوتر يجتاحه من أقصاه إلى أقصاه، وقرأ بصوت عال حتى لا يضطر إلى إعادة سرد مضمون الخطاب على رفاقه:

الأخ طلبة . .

تحية ثورية عربية وحدوية

وبعد

عقدت الفصائل والفرق مؤتمراً مشتركاً يوم الاثنين الماضى سعت ١٥٠٠ مناقشة مطالبكم فى الحصول على مستحقاتكم من المبلغ المربوط الذى حددتموه .

احتدم النقاش، بين فصيل الجيل القديم «مراكز القوى»، وفصيل الجيل الجديد الذى تجاوز كل «المراكز» والمحافظات، ويشغل - الآن - على نطاق «اقليمي» .

تبدلت الاتهامات بالخيانة والعمالة واللصوصية والقرصنة على نطاق واسع .



امتدت المناقشات إلى حالة الفرق الناصرية الراهنة، وإمكان استغلال وضعكم السياسى الجديد البازغ، وعلاقاتكم بمستر إدوارد ووكر، من أجل دعم تصعيد فرقتين - على الأقل - من الفرق الناصرية إلى الدورى الممتاز، واستغلال تأثيركم الدولى فى تدبير مدرب أجنبى لهذه الفرق للنهوض بمستواها، وبخاصة أن الجمهور اعتاد - مؤخراً - أن يهتف ساخطاً فى مواجهتها: «قاعدين له ما تقوموا تروحوا»، وبالذات فى الحالات التى تمارس فيها الشغب ومحاولات الاعتداء على الحكام.

وقد رفع كل فصيل المقاعد فى مواجهة الفصيل الآخر، وثبت أن فصيل الجيل الجديد مازال يحتفظ بعدد أكبر من المقاعد، فغلب رأيه، بالتعاون معكم، وتدبير المبلغ، وقد سافر بعض الإخوة - بالفعل - فى جولة اقليمية سيطلبون فيها ثلاثة أضعاف ما حددتم، بحيث يدفعون الثلث لكم، ويتم توزيع الثلثين الآخرين بكل كفاية وعدل.

وأود أن ألفت نظركم إلى ضرورة الوفاء بالتزاماتكم تجاهي، بدعوتى على غذاء مكون من اللحم المشوى الخالص، لأننى ضجر - إلى أقص حد - من أكل المهلبية التى تم تعميمها بوصفها طعام سياسى موحد للفرق الناصرية، لأنها مرتبطة بتراث فرقنا السياسى فى بناء الأنظمة والأحزاب التى تنهار بسهولة مثل المهلبية.

لقد مشيت معدتى ونعمت أمعائى، وأصبحت أحتاج إلى تخشينة تتكون من كيلو كباب على الأقل، مصحوباً بساندوتش بمبار.

وأود أن ألفت نظركم إلى ظاهرة أخرى ناقشناها - جميعاً - فى الفترة الماضية، وهى ما لحظناه من أن صور الزعيم الراحل جمال عبد الناصر التى نعلقها على جميع الجدران، بدت وكأنها تنظر إلينا بقرف، لا نعرف لماذا؟ بل

ويقسم البعض على أنهم سمعوها تردد: (أه لو كنت عايش . . كنت عرفت أوريكم).

وطريق الثورة طريق النصر

أخوك

H.S

«لم يبق - إذن - إلا الوفد» همس طلبة قبل أن يأمر ماهر بالعودة - بسرعة - إلى البيت .

.....

ما إن وصل طلبة ورفاقه إلى البيت ، حتى بدأ ماهر وسيف ونور في ترتيب الأوراق على منضدة السفرة، بينما قبع طلبة إلى جوار الهاتف كمن ينتظر مكالمة بعينها . . ولم تمض دقائق حتى رن جرس الهاتف ، وامتدت يد طلبة لتلقط الساعة متلهفة .

على الجانب الآخر كان أحد عملاء طلبة في حزب الوفد الجديد (وهو بالمناسبة ليس بك أو باشا أو دكتور) يبلغه - بانفعال ونشوة - عن تداعيات مطالبته للوفد بمبلغ مربوط تم تقديره وفقاً للأصول الثابتة للحزب وفي مقدمتها صحيفة الوفد :

«أيوه يا أستاذ طلبة . . زى ما بقولك كل أعضاء الهيئة نصحوه أنه يدفع بالتى هى أحسن ، بدل تفتيح العيون على الأنشطة الاقتصادية للأعضاء ، اللي لازم تكون فى مأمّن من كل العيون . . وخصوصا العيون المدورة .

والدكتور محمود أباطة نصحه أنه يتجنبك ، بعد ماشافك كلت الجو فى النداء الجديد، وحذره كمان من عمرو عبد السميع اللي بيكتب سيرتك لأنه

بيفضح الدنيا، وتجربته معاه ماكتتش مبشرة أبداً. . . أى والله . . . قالوله . . .  
اشترى سكوتهم ياباشا واديلهم حاجة» .

«إيه اديلهم حاجة دي . . . هوه إحنا بنشحت؟!» قالها طلبة فى غضب  
مصطنع، ثم أردف بشكل حاسم: «طيب . . . أنا ح أزود المربوط عليهم  
بنسبة ٨ فى المية . . . ودى النسبة المقررة فى القايمة . . . ما دام إحنا فى سنة  
انتخابات . . . حتى لو مشيت فردي . . . على أى حال ميرسى قوي . . .  
سلام» .

.....

التليفون يرن - ولكن فى منزل مستر إدوارد ووكر هذه المرة - فيمد يده من  
تحت الغطاء ليتناول الساعة التى يتبادر عبرها صوت السيدة نهال رزق  
مسئولة التعاون الدولى فى المكتب الإعلامى بالسفارة الأمريكية .

والتى قالت فى توترباد:

"Excuse me your excellency ....."

الموضوع لم يعد يحتل الانتظار، وكان لايد أن أهاتفك وأزعجك فى  
الويك إند، الصحف مليئة بأخبار هذا الطلبة الذى يدعى أنك تساند دوره  
السياسى الجديد، ماذا نفعل؟، هل نصدر بياناً للتكذيب، أم نجب -  
سعادتك - أن تعقد مؤتمراً صحفياً تصحح فيه الأوضاع؟» .

"dear Nihal .. don't worry ....."

لقد تابعت كل أخبار هذا الطلبة . . . ولم أجد ما يزعجنا . . . هو يسعى  
لممارسة دور سياسى جديد . . . وسوف ينجح فهو ذكي، ويعرف كيف  
يتحرك، وجميع القوى السياسية أصبحت تؤيده، أو كي . . . ماذا تريد مننا  
أن نفعل؟ لقد علمنا درس إيران، ألا نخسر أية قوة سياسية على الساحة،

وقد أصبح طلبه قوة سياسية بالفعل ، فلماذا ننفى ونتشجج ونعقد المؤتمرات الصحفية . . عزيزتى نهال . . لا تنزعجي " .

ثم أردف بصوت هادئ :-

" Have a nice weekend "

فأجابته نهال بعد أن هدأت وأطمأنت وفقدت توترها :

"You to your excellency "

النَّصَايَة

كان المنظر - جد - غريب .

مجموعة هائلة من مؤخرات السيدات والرجال سدت الأفق عند الدرج الرخامى المؤدى إلى باب قاعة خضوع فى مركز القاهرة الدولى للمؤتمرات بمدينة نصر.

الجميع انحنوا - فجأة - لتنظيف أحذيتهم التى علاها التراب، من جراء السير فى السكة المتربة، التى تربط مكان انتظار السيارات بالقاعة . فبدت مؤخراتهم وكأنها التكوين الرئيسى فى لوحة عبقرية تعددت تفاصيلها .

الليلة ربيعية نموذجية، فيها نسمة هواء نصف منعشة، والنجوم تطل ببريق من ذلك النوع الذى قرأنا عنه فى الروايات الرومانسية قديماً، ثم لا تلبث أن تختنق - هى وبريقها - تحت وطأة واحدة من آلاف سحبات العادم التى ترتع فى سماء القاهرة، مثل قطط السلم المتوحشة، وكلاب السكك المسعورة .

خليط من روائح أرقى البارفانات الحريمية الحديثة : «إسكادا» و«توندر بوازون» و«كاشايدو كينزو»، يمتزج بخليط من روائح أرقى أنواع السيجار الهافانا الفاخر «مونت كريستو» و«روميو أند جوليت» و«بارتاجاس»، والروائح - كلها - تضىء على المكان جواً من الأبهة والأناقة الشديدة .

الجميع على سنجة عشرة، النسوان ملفوفات فى ثياب السهرة التى تبرىق وتلمع على الرغم من أنف العادم وسحاباته، والرقاب والأذان والصدور

مرصعات بعقود الماس واللؤلؤ وأقراطه، والأكتاف تلفها حليات الريش، أو الفراء التي تكاد تتحدث عن نفسها وعن أثمانها، والفساتين مشقوقة ومفتوحة، من كل مكان يحتفل فتحة أو شقاً، لتبرز كل لحم لا يجاور العظم، وردياً أو أبيضاً أو أسمرأ.

والرجال تضغط السترات المخفضة الداكنة على أجنابهم، بينما تبرق في معاصمهم الساعات، والإنسيالات، وعلى ياقات الجاكيتات تلمع الحروف الأولى من أسمائهم والمصنوعة من الذهب الخالص، ثم تبرز رابطات العنق المشجرة، والمناديل الفاجرة الألوان وسط هذه الأرضية الغامقة، لتحيل الجو كرنفلاً من السعادة يهتف: هذا من فضل ربي.

لافتة ضخمة تعلو بوابة قاعة خفرع مكتوب عليها باللون الأحمر:

نحنوح

«نحو حزب النداء الواحد للحرية»

الاجتماع التأسيسي الأول . . . . . طلبه هريدى

وفي الداخل كانت الثريات الفاخرة الضخمة تغمر بأضوائها المبهرة هذا الجمع السعيد الحاشد، الذى يضم صفوة الصفوة، أو «كريم دولا كريم» فى مصر المحروسة.

البلد كلها بفنائها ولاعبى الكرة فيها، وباحثيها، وخبرائها، وأطبائها، ورجال أعمالها، وسياسيها، وإعلاميها، جاءت - اليوم - لتحتفل بتأسيس الحزب الليبرالى الجديد «حزب النداء الواحد للحرية»، حزب طلبه هريدى، نجم النجوم، الذى أثبت أن الشمس لا تغيب عنه أبداً.

مناضد مستطيلة على الجانبين رصت عليها كؤوس المشروبات الروحية والخفيفة، وأطباق من الساليزون والكاناييه، وفناجين فاخرة، إلى جوار كل

منظومة منها كولمان للشاي، وآخر للنسكافيه، وبضعة أطباق من البيتي فور والجاتو سواريه .

الجدران مغطاة بمعرض للصور الفوتوغرافية يغطي مراحل من حياة طلبة وفوقه لافتة أنيقة مكتوب عليها :

"Tollba Hareedy : a struggle for liberalism, human rights and society ..Form Shintena Alhagar to the U.S.A. " civil

«طلبة هريدي : كفاح من أجل الليبرالية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني من شنتنا الحجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية» .

وتحتها بحروف معدنية مطلية بطلاء ذهبي :

«نحنوح ، ثم بالإنجليزية . . Nahnooh

ثم بخط أصغر: «نحو حزب النداء الواحد للحرية» .

وفي المواجهة صورتان كبيرتان بالألوان، الأولى لطلبة، والثانية لمسترد إدوارد ووكر السفير الأميركي في القاهرة، وتحتها علما جمهورية مصر العربية والولايات المتحدة الأمريكية بساريتين متقطعيتين .

مجموعات من النادلين تقوم بالتخديم على الضيوف بجوار البوفيه المفتوح، ولغظ خفيف أنيق يلف الجميع، لا تلبث أن تقطعه - من أن الآخر - عاصفة من الضحك الرجالي الخشن، أو ضحكة حريمية ملعلعة صولو .

الصور على الجدران تضم لقطة من طفولة طلبة بجلباب ممزق، وأقدام حافية إلى جوار «روبة» عفنة في شنتنا الحجر، فيما يعف على وجهه وعينه سرب من ذباب الأرياف الرزيل، والمقصود - طبعاً - إظهار نوع البيئة التي تفجرت فيها عبقرية طلبة، وخلقت فيه روح التحدى للواقع، والرغبة في تغييره والتحريض على هذا التغيير.



ثم صورة أخرى لطلبة في ريعان الشباب يجلس أمام محقق في قسم أول شنتنا الحجر، والمقصود - طبعاً - إظهار التضحيات السياسية التي قدمها طلبة في سبيل الحقوق المدنية لبني وطنه . (واقع الأمر أن طلبة لم يدخل قسم البوليس في حياته إلا مرتين، الأولى للإبلاغ عن بعض أعضاء حزبه «الترقي» لقيامهم بتشكيل تنظيم يهدف إلى قلب نظام الحكم، وتداول مطبوعات ومنشورات من شأنها إثارة الخواطر وتهيج النفوس والأفكار، وحياسة بعض أجهزة التخابر مع دولة أجنبية ومن ضمنها راديو ٣ موجة، وكذلك حياسة بضعة أعداد من مجلتي الكاتب والطلبة . . . المرة الثانية دخل فيها القسم متهماً بسرقة دجاجة من فوق سطح بيت جارته أنسام، والتي حاول إقناعها بفكرة شيوع الملكية، فرفعت بالصوت الحياني، ولت أهل شنتنا الحجر من كل فج عميق . . . ويرجح أن الصورة الفوتوغرافية - محل التعليق - التقطت في المناسبة الثانية!)

والصورة الثالثة كانت لطلبة يلقي قصيدته التاريخية «أكل من فرخة نسيرة . . . أربض في عين الصيرة» التي بدأت بها هذه الحلقات عن سيرته ، والمقصود - طبعاً - إظهار التلاحم بين الفنان والجاهير، عبر الأشعار النضالية ذات الأبعاد المرتبطة بتحرير الإنسان بدنأً وروحاً (استقى طلبة فكرة تحرير البدن بالأشعار من بعض عقائد الجماعات الآسيوية البوذية التي تؤمن بتحرير البدن عن طريق الضرب، والكي، والجلد المتواصل، وهي - في ذاتها - لا تُعتبر عمليات تعذيب تنتهك حقوق الإنسان، بل تُعتبر وسيلة للسمو الروحاني ترتبط بتحرير هذا الإنسان من عبوديته ورقه).

وعشرات من الصور الأخرى التي تحكى فصولاً من قصة بطلنا .

بطلنا . . . أين هو؟

كان طلبة يقف في وسط الردهة الخارجية لقاعة خفرع بينما تسلط عليه أضواء البروجيكتورات ويواجه عدسات كاميرات C.N.N ، وعلى مقربة

وقف تيد تيرنر مالك هذه المحطة العملاقة وزوجته الشهيرة جين فوندا ، اللذان حضرا بطائرة خاصة إلى القاهرة منذ ساعات لمتابعة إطلاق حزب النداء الواحد للحرية ، حزب طلبة هريدى ، الذى ينهك الآن فى حديث دافق مع جيل يانج مراسلة الشبكة التى اعتادت تغطية أخبار مصر .

ماهر عبد الهادى ، ونور أحمد السعيد ، وسيف صلاح الدين يتولون إدخال الضيوف من الردهة إلى مقاعدهم فى القاعة .

سيارات كبار المسؤولين فى الدولة ، والديبلوماسيين ، والوزراء تصل تباعاً ، وأمام كل منها دراجة بخارية تعوى سريرتها حتى تكاد توقظ الأموات .

رجال الأمن الخاصون يتبعون كل مسؤول مكلفين بحراسته ، بينما كل مسؤول يرمى رجال أمن المسؤول الآخر ويعددهم ، مخافة أن يتميز عليه أو يثبت علو كعبه .

رشا مجدى ، ونادر دياب ، يتناوبان الحديث إلى المشاهدين عبر شاشات التليفزيون المصرى ، بجمل أنيقة وظريفة تبدأ - جميعاً - بكلمة «والله بعد أيها السادة المشاهدين . . .» .

الجميع - هنا - نجوم ، يحتلون مقاعد القاعة الزرقاء الغامقة ، ويتوجهون بأبصارهم إلى خشبة المسرح التى تتوسطها منصة خطابة مكتوب عليها كلمة : «نحنوح» ، وخلفها الستار التقليدى من القטיפه الحمراء الغامقة ، وعلى المنصة تراصت عشرات الميكروفونات التى يمثل كل منها محطة إذاعة أو شبكة تليفزيون محلية أو عربية أو أجنبية .

فى الصف الأول جلس الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب ، والدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء ، والدكتور يوسف أمين والى نائب رئيس الوزراء ، وكمال الشاذلى وزير الدولة لمجلس الشعب والشورى ،

وإلى جوارهم رؤساء الأحزاب الثلاثة عشر، ورؤساء الهيئات القضائية، ود. سعيد النجار، ود. سعد الدين إبراهيم، ومحمد فائق، وأديب الجابر، ود. أسامة الغزالي، ود. وحيد عبد المجيد، ود. محمود أباطة، ود. منى مكرم عبيد، والأستاذ جمال بدوى، ود. حازم البيلاوى، والمستشار مأمون الهضبي، والأستاذ مصطفى مشهور (اعتذر الأستاذ حامد أبو النصر لظروف صحية)، والأستاذ محمد عبد القدوس، والأستاذ سعيد سنبل، والسفير تحسين بشير، ومحمد شفيق جبر، والأستاذ سلامة أحمد سلامة، والأستاذ مصطفى أمين، ود. عبد المنعم سعيد، ود. محمد السيد سعيد، وبهى الدين حسن، وأعضاء هيئة الشرطة، ورجال المطافئ.

كما ظهر في الصف الأول مستر إدوارد ووكر السفير الأمريكى، ومستر جون ويسلى مدير هيئة المعونة الأمريكية فى القاهرة، والسيدة نهال رزق من المكتب الإعلامى الأمريكى، والأستاذ سليم نصر مدير مكتب فورد فونديشن، وجميع أعضاء مركز ابن خلدون الذين هم مع التاريخ، وكذلك السفراء الأجانب عن بكرة أبيهم، أما السفراء العرب فقد تجمعوا إلى جوار بعضهم البعض مديرين أكتافهم للحضور، حفاظاً على الخصوصية الثقافية العربية، وتأكيداً للهوية الذاتية المستقلة.

ومن بعيد ظهرت وجوه كلها معروفة: يسرا، د. رفعت السعيد، شريهان، د. عبد المنعم عمارة، أحمد زكى، د. عبد العظيم رمضان، حسين فهمي، د. جهاد عودة، وآخرون. . وآخرون. . وآخرون.

ووسط الصفوف تناثرت وجوه وأسماء لصحفيين أجانب معروفين، من هؤلاء الذين تعودوا زيارة القاهرة، والكتابة عنها: جوديث ميللر من نيويورك تايمز، ودافيد هيرست من الجارديان، وروبرت فيسك من الإنديبندنت، وماري أن ويفر من النيويورك.

ماهر عبد الهادى يوزع على الحضور بضع مطبوعات أنيقة تحتوى برنامج الحزب، وسيف صلاح الدين يوزع كلمة طلبة هريدى فى إعلان ظهور الحزب، بينما نور أحمد السعيد لم يعرف ماذا يفعل، فأخذ يتظاهر بأنه يوزع برنامج الحزب وكلمة طلبة.

سيدات «تنت» القدامى هرولن إلى القاعة مزغردات ومحاولات الالتحاق بركب طلبة، رافعات لافتة صغيرة مكتوب عليها: «تنتحونج (أى نحو تنظيم نسائى لحزب النداء الواحد للحرية)، ولافتات أخرى مكتوب عليها: «يا حبيبي يا طلبة» و«ماذا فعل بك الكلاب؟» و«دبابات الدنيا لن تمنع وصول صوتك إلى الجماهير».

المذيعة الداخلية للحفل السيدة سناء منصور، تقدم للحضور رمز الليبرالية وحقوق الإنسان والمجتمع المدني، الشاعر العملاق طلبة هريدى، الذى يلقي بمناسبة إطلاق الحزب قصيدته الجديدة.

عاصفة مدوية كاسحة من التصفيق استقبل بها الحضور ظهور طلبة على خشبة المسرح، بينما كان مستر إدوارد ووكر يرفع إصبعيه بعلامة النصر، فيما يصفر مستر جون ويسلى بفمه تحية وإعجاباً بطلبة، الذى ظل ينحنى مستقبلاً التصفيق لمدة عشر دقائق، ناظراً - باحتراف شديد - إلى أعلى القاعة ثم أسفلها، حريصاً على أن يبدو مكدوداً ومرهقاً من هول ما يحمل من أنقال سياسية وفكرية على كتفيه، بينما السفراء العرب يلوحون بمناديل عُقدت أطرافها، وبالمسابع، فيما أخذت الجلالة أحدهم فهتف: حنا للضيف.. حنا للضيف.

سكون تام يجيم على القاعة لا يחדشه سوى صوت حركة حاملي كاميرات الفيديو، وكاميرات التصوير الفوتوغرافي، أو حركة المصورين على منصات النقل التلفزيوني .

الإضاءة تخفت تدريجياً، حتى يظلم المسرح إلا من بقعة ضوء على شكل دائرة تسلط عل وجه طلبة، الذي يبدأ تلاوة قصيدته :

(٤٧)

روحٌ وثابه

في قلب إمامه

نهشتها ضبايح الحكم

وقطط السلطة الكذابه

دمرها ضبايح الرغبه

شتموها وقالوا : يا كلبه

إن كنت هجرتِ الزمنَ

إن كنت تركتِ الوطنَ

تُخضعك الشرطة الغلابه

وتعود النفس الأوابه

تتقلب في الوحل الآسن

تتمرغ في حضن الكاهن

هيكلمها ذنوب وخطايا

معبدها صلاة توابه

في قلب إمبابه

.....

.....

(٨٩)

ليبراليه . . ليبراليه

العيون دي أمريكية

والإيمان في القلب بيهم

ميه . . ميه

إوعوا يوم واحد سخيف يهتف يقول :

دانت كنت إنت اللي فيهم

قبل ما تقلب عليهم

دانت كنت إنت اللي غالي

قبل ما تتبع الليالي

أه يا طلبه . . ياللي كنت في ليلنا شمعه

ليه تفوت في القلب ولعه

لا يا خويا حل عني

دا الجُليب أمريكاني

والشعور من صغر سني

والتكيف

والتقلب

والتغير

هوه ده أصل الكتابه

في الزمالك أو في شبرا

أو على الكورنيش وغمره

وف قلب إمبابه

وف قلب إمبابه

.....

.....

(١١٥)

سجاني يضحك

سجاني يقهقه

ملء الفم

وملاء الأشداق

حرروا أشواقى

والأمل الباقي

فأنا مشتاق - فعلاً - للترحال

وأنا مشتاق - جداً - للأموال

مشتاق - قطعاً - للنسوان

مشتاق لحقوق الإنسان

سجاني

مازال يقهقه

ضحك كثيراً . . صفع كثيراً . . قتل كثيراً

عشت في سجنى كسيراً

كما عاشت - في بطن الحوت - السمكة

والكنكة . . حوض الحمام اليومي

كما يأمرنى سجاني

داستى أحذية الجند السوداء

سحقتنى جنازير الدبابه

وف قلب إمبابه

وف قلب إمبابه

.....

.....

٩٥ : سفر البلاعة

من ديوان : قبلنى تحت الدبابه

.....

.....

- تمت بحمد الله -



..وحکایاتُ اُخْرَى

## بَلِّبْ .. يَا بَحْرُ !

للم البحر أطراف عباءته الزرقاء، ومضى مندفعاً في طريقه المعتاد،  
يشع بزبده الأبيض، ويهدر بصوت فوار مدمدم، محتضناً رغبة غامضة  
قوية، أصر على تكتم سرها!

رائحة طازجة موحية فضحت مقدم البحر، وذاعت وشاعت في نسمة  
باردة سابقت الأمواج.

لامس رذاذ الماء المتطاير من فوق قمة موجه، ريش طائر أبيض من  
طيور البحر، فنفضه باهتزازة راعدة، ومضى محلقاً يراقب في دهشة  
وفضول، آلة الماء الصاخبة الهدارة التي تمضى نحو هدفها بإصرار!

أعشاب البحر وطحالبه، تعكس في ضوء القمر ألوانها البنية  
والخضراء، بعد أن صعدت من القاع إلى القمة بعصامية صلدة، لتستطلع  
الأمر، وتعرف الأخبار!

مذاق مالح يتشرب في الجو المشبع برطوبة ثقيلة تجثم على صدر الليل  
حتى تكاد تزهر أنفاسه، بينما يرتفع حائط الماء الزاحف حتى يججب  
ربع القمر.

الشاطئ الرملي العريض يتمدد متلوياً في استرخاء ناعس، يلاعب  
بعض الأمواج الصغيرة المتكسرة التي تطش على حافته كوسوسة القبلات  
في ليلة حاملة، وينظر إلى البحر الزاحف بفتور من يعلم جيداً قواعد اللعبة  
الأزلية، وشجاعة من لا يملك شيئاً يخشى عليه!

أشاح الشاطىء ببعض رماله البيضاء فى الهواء الذى يدفعه البحر أمامه وانعكس عليها ضوء القمر فبدت نجوما ترتعش بضوء فضى أخاذ، بينما واصل الشاطىء النظر إلى ذلك البعيد الأتى. الماء يتجمع ويتكور ويتقلص ملقىاً بكل ثقله فى انفجار مروع باتجاه الشاطىء، عله ينتقم لكل إحباطاته السابقة، ثم يمد أطرافه الخائقة لحظة نزوله على اليابس ليكتسح كل شىء، رافضاً أن تشربه الأرض، ورافضاً أن يعود!!

البحر يفترش الأرض ويتمدد، ويتمدد، حتى يتحول إلى ما يشبه بركة الماء الأسن. ويفقد طاقة التحدى، ثم فجأة يللمم أطرافه من وسط حنايا وتلافيف اليابس، ويمضى متوعداً لبدأ رحلة العودة.

فقاقيع هوائية تملأ سطح المشهد، بينما الشاطىء يرسل نسيمه كأهة ارتياح تودع فلول الماء وتؤكد يقينه الذى لا يتبدل!!

إبريل ١٩٨٥ م



فيرد أعضاء الكورس :

- من غير وداداك !

ويظل الواحد منهم معيناً مربوطاً على درجة (من ودادك) حتى يتوفاه الله، ودون أن يصيب أى قدر من الشهرة، اللهم إلا عند بعض الأقارب والجيران، والحرفيين أصحاب الدكاكين التى تحوط مسكنه !

وتستكمل التراجيديا اليومية لعضو الكورس عناصرها، حين يخرج إلى عمله مودعا أبناءه وداعا مؤثرا، ملمحا إلى التعب الذى سيتجشمه فى سييلهم .

وبالطبع يتغامز هؤلاء الأبناء عن مهنة أبيهم، هذه التى يثير حولها قدرا كبيرا من الضجة، وهى مجرد (من ودادك).

وبالطبع - أيضا - يلاحظ الأب هذا التغامز، فلا يفوته - من آن لآخر - أن يذكر أمام أبنائه أن المسألة ليست أى (من ودادك) وإلا لأصبح كل الناس فنانيين!، ولكنها تحتاج لدراسة، وخبرة، وموهبة، حتى ينخعها فتأتى كما يجب!

وفى الجلسات الاجتماعية يميل عضو الكورس إلى أداء فواصل من الدلع الشخصى. فيجلس بهيته الفاخرة، عريض المنكبين، مهيب الطلعة، يتطاول على العالمين، راويا ذكرياته الفنية المشتركة مع (عُويد)!

وعندما تندر إشارات استفهامية من الحضور عن (عُويد) يفيد عضو الكورس أنه يقصد محمد عبد الوهاب، ثم يضيف ضاحكا مؤكدا الصلات الفنية الحميمة التى تربطه بموسيقار الجيلين :

إيه . . كانت أيام . هاهاهى . . الله يجازيك يا «عُويد» .

وهكذا تكتمل حلقات المأساة - الملهاة: حين لا يدخل عضو الكورس إلى دائرة الضوء إلا في خياله وأحلامه الشخصية التي تتداخل وتختلط بالواقع أحيانا .

وهكذا نحن في الفن . . وهكذا نحن في السياسة .

لا نعرف الغناء الجماعى ، فيظهر عندنا مطرب وكورس .

ولا نعرف الديمقراطية . فيظهر عندنا قائد وشعب .

نعم .

الله يجازيك يا (عُويد) !!!!

إبريل ١٩٨٥م

## الجورنالجية

الصحفيون أو الجورنالجية أنواع!

منهم من احتل مكانة في قلب وعقل القارئ العربي، ومنهم من احتل مكانة تحت حذاء ذات القارئ!

منهم من وهب مهنته العمر والصحة والحياة إلى آخر نفس فيها، ومنهم من تعامل مع ذات المهنة على أنها (مغارة على بابا) التي يأتي إليها وقتما يشاء «ويشيل ما يقدر عليه»، منهم من ربي من حوله تلامذة يقتدون بمنهجه العقلي والمهني وينهلون من دروس مدرسته الصحفية، ومنهم من عاش مرعوباً وجلاً من أى شاب يدخل إلى عتبات المهنة الصعبة، منهم من احترم الكلمة، ومنهم من احترف الكلمة، منهم من لم يخن قضية شعبه أو أمته، ومنهم من لم يعرف سوى قضيته فقط، منهم من حدث قراءة حديث «بريكليس» الهادى المتزن، ومنهم من صرخ في قرائه صراخ «شيشرون» الجعجاج الزاعق.

منهم من عرف قيمته فوق كل منصب، ومنهم من لحس البلاط في سبيل أى منصب، منهم من ظل يتعلم ويتعلم في كل يوم، ومنهم من تصدى بجهالة وقحة لمهنة يراها في غير حاجة إلى تعلم!، منهم الذى امتلأ بفكرة نذر لها قلمه، ومنهم الذى استوت عنده الكتابة بالقلم أو القدم!

منهم من أخفى رسائل القراء التى تسبه وتلعنه، ومنهم من نشرها وناقشها وتعلم منها، منهم من صان فكره في أى مطبوعة عمل بها رياضية أو سياسية أو دينية أو فنية، ومنهم من احتفظ بزى خاص لكل مطبوعة

يعمل بها (شورت مطبوعة رياضية وعمامة مطبوعة دينية، وفراك مطبوعة سياسية).

منهم من حاول أن ينصح العجزة وأنصاف الموهوبين ويساعدهم،  
ومنهم من غطى عجزه وجهالته بانتقاد الكبار والموهوبين.

منهم من كان تجسيدا للفوقية المهنية عملا وتصرفا وتاريخا، ومنهم من  
تحدث كثيرا عن الفوقية المهنية دون أن ينظر إلى موقع أقدامه في أسفل درك  
من الانحطاط المهني.

منهم من جعل المبدأ والسيرة الحسنة هدفا نبيلًا لما يكتب، ومنهم من  
جعل المال والمنصب مرادا وضيعا لما يسطر!

منهم من كسب، ومنهم من خسر والأمر في هذا المقام نسبي.

منهم من نال حظه ومنهم من خانه حظه والأمر في هذا المجال قدرى،  
منهم من وصل، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا!

أغسطس ١٩٨٥م



## المكثيُون العَرَبُ.. أين السَّعادة؟!

للشاعر الفرنسي الجبار « فيكتور هيجو » : كتاب اسمه « أوراق الخريف » أو ( Les feuilles de l'automne ). وهو يضم بين دفتيه مجموعة رائعة من القصائد ، ثبنتني إحداها أمام سطورها مبهورا مشدوها من قدرة الشاعر على النفاذ بعمق إلى النفس البشرية وتحليل عناصرها ومواقفها ودوافعها وردود أفعالها والقصيدة بعنوان ( Ou donc est le bonheur? ) أو ( أين هي السعادة إذن؟! ) .

ويتنقل « هيجو » في قصيدته عبر مراحل العمر البشرى متأملا ذاته قائلا : « السعادة ياربي . . لقد أعطيتني إياها » .

ولكن في كل مرحلة عمرية ( الطفولة - المراهقة - الرجولة - الشيخوخة ) كانت النفس غير راضية ، وغير فطنة إلى ذلك الفيض الدافق من الفرح الإنساني الذي أحاطها الله به .

يتطلع الطفل إلى عالم الكبار متصورا أن السعادة تكمن فيه .

وينظر المراهق إلى عالم الطفولة والمراهقة متصورا أن السعادة تداعبه .

ويرمق الشيخ عالم الشباب والطفولة متصورا أن السعادة تلفه .

هذا بينما تعجز النفس عن الإلمام بجوانب البهجة المتوثبة التي تشيع في كل مرحلة من مراحل العمر .

لقد ختم الله على قلوب البعض . فلم يدركوا السعادة تمر من أمامهم  
متألقة فوارة، فاصبحنا نراهم مقلوبى الخلقه، تمتعضى الوجه، بادی  
السخط، فإذا ما سألت أحدهم مستفسرا عن الأسباب، أجابك: إنه  
مكتئب، حالته النفسية زفت، حزين، يعربد الحزن فى نفسه ويبتاح  
صدره عشرات المرات جيئة وذهابا فى اليوم الواحد!

الحزن، والاكتئاب، أحد التعبيرات الأكثر شيوعا على لسان الكثيرين  
فى عالمنا العربى الآن. ومن كثرة ما اعتاد هؤلاء الاكتئاب أو الحزن صار  
جزءا من آلية حياتهم يعيش فيهم، ويتعايشون معه!

البعض فى العالم العربى . . حولنا . . لا يبدع لأنه حزين!

ولا يريدون أن يبدع غيرهم لأنهم مكتئبون!

يريدون إيقاف الزمن، وقتل إيقاع الحياة الألى .

يريدوننا أن نتنظر زوال أحزانهم حتى تواكب حركتهم خطواتنا!

ندابون يظنون أن هزائم أو طانهم ونكساتها علاجها الحزن ودواؤها

الاكتئاب!

كيف يبدعون؟!

كيف يعملون؟!

كيف ينجزون؟!

كيف يحبون؟!

كيف - حتى - يكرهون؟!

كيف يتأتى لهم كل هذا وهم لا يدركون الفرح الإنساني؟!  
كيف يتأتى لهم كل هذا وهم لا يعلمون أن الفرح الإنساني هو  
الطريق للقوة؟!!

هل سيواجهون إسرائيل بالاككتاب؟!!

هل سيقضون على تخلفهم بالحزن؟!!

هل سيواصلون التساؤل «أين السعادة»؟

مايو ١٩٨٥

## المكتئبون العرب .. نشيد الفرح الإنساني

صرخة للشاعر الألماني « شيللر » تقول :

« يا اصدقائي فلنترك أغاني الحزن القديمة . . . ولنغنى نشيد الفرح  
الإنساني »

وقد تحولت هذه الصرخة الشعرية فيما بعد إلى بناء فني جبار في  
سيمفونية بيتهوفن الكورالية التي تهدر في نهايتها أصوات عشرات الرجال  
والنساء بكلمات شيللر طارقة الفؤاد والعقل بقوة تفتت الصخر وتمز  
الجبال .

والمدرک لعلاقة الفرح الإنساني . . بالقوة . يمكن أن يفهم لماذا أشار  
فلاسفة « القوة » الألمان لشعر شيللر في أكثر من موقع في كتاباتهم  
وشروحهم .

والمدرک لعلاقة الفرح الإنساني بالقوة يمكن أن يفهم لماذا دفعتنا  
قصيدة « فيكتور هيجو » في المقال الماضي لأن نتأمل حال المكتئبين العرب ،  
هؤلاء الذين لا حراك لهم سوى بغرض تعويق حركة غيرهم !

إنهم لا يدركون أن القوة تكمن في الفرح الإنساني وتجدل علاقتها به  
في ضفيرة واحدة . وأن ضحكة من القلب قادرة على ان تصرع أمامها  
أحزان عمر بأكمله ، وتتهاوى تحت قدميها صرخات المكتئبين : « أين  
السعادة؟! »

السعادة - لمن يريد أن يفهم - لها مستويات . بعضها له علاقة مباشرة بالفرد، والبعض الآخر له علاقة مباشرة بالجماعة، والبعض الأخير يجمع القدرة على التأثير في كليهما .

فإذا ساد الفرح علاقة الفرد بنفسه . . كان هذا أحد مستويات السعادة .

وإذا ساد الفرح علاقة الفرد الإيمانية بالخالق . . كان هذا أحد مستويات السعادة .

وبنفس المقدار الذى تقترن فيه السعادة بالقوة، نجد الحزن والاكتئاب والسخط مقترنا بالضعف . . هل تريدون أمة قوية؟

إذن علموا أبناءكم أن يكونوا فرحين!

فالإيمان بالله . . فرح!

والحرية . . فرح!

والعدل . . فرح!

والشجاعة . . فرح!

والإبداع . . فرح!

.....

أفلا يفهم المكتشون!!؟

مايو / يونيو ١٩٨٥م

## في الليل لما خي!

سجادة سوداء فاخرة غطت قبة السماء .

بلايين النجوم والأجرام افترشت مكانها اليومي على صدر الليل،  
الذي أرخى سدوله بوقار سانده إرث من كبرياء قديم!

أخفى القمر بعض ضوئه في تواضع دمث، وتبدى هلالا على وشك  
المحاق، يربت على كل النجوم مفسحا أمامها ساحة الليل في إثارة،  
لتتلاها فيها بصخب متقافز، وتشيع بارتعاشاتها فرحة فوارة في كل  
السماء .

شبكة واسعة من الطرق يصنعها شكل المجرات المتراصة في إحكام  
شديد، والخالية من الحركة ككل السكك فيما بعد منتصف الليل!

استجمعت نجمة صغيرة كل طاقتها على الحب، وأضاءت بشعاع  
صغير نفاذ، ومضت تسلك طريق الكبار ببراءة مدهشة .

بعض الشهب العابرة برق بادعاء كذوب، في محاولة مصطنعة لجذب  
الانتباه، اطفأتها الحقيقة بقسوة، قبل ان تلقى بها وراء الشمس!

حبست الكواكب انفاسها حين مرق احد النيازك بجوار النجمة  
الصغيرة محاولا إجهاض محاولتها، بينما ران سكون مترقب على الجميع  
وهم يتابعون مسيرتها الدؤوب .

كانت الأرض مشغولة عن متابعة كل ما يجري، دائرة حول نفسها في  
نرجسية، منصرفة إلى مراجعة همومها وشئونها!

بينما ظلت النجوم الكبيرة التي رضت وارتضت مكانها تحت الشمس  
ترمم معافرات النجمة الصغيرة التي ترفض الجمود، وتتحدى المجهول،  
وتحلم بالخلاص.

لم يبق في الليل إلا هزيعه الأخير، والاستعدادات تجري على قدم  
وساق لاستقبال نهار جديد، والنجمة الصغيرة تتوهج في عزم وهي  
تسابق الزمن لتحتل موقعا جديدا يليق بإصرارها، ويحترم إرادتها.

تئاءب الهلال الطيب ساحبا فوقه طرف ملاءة زرقاء، وتطلعت  
الأرض إلى أعلى مترقبة لحظة الشروق، ومضت كرة النار الكبيرة تحمر  
وتتوهج في اشتعال متحمس، ورفع الليل قبضته عن السماء، واختفت  
بلايين الأجرام التي رصعت قبته.

ولم يبق إلا هي تضيء بشعاع صغير نفاذ.

وتمضى لتتبوأ مكانها على رأس كل الكبار!!

يونيو ١٩٨٥م

## زيارة السيد العجوز!

لم تكن «زيارة» بالضبط، وإنما لون من ألوان الاحتلال العسكري بالإكراه والإحراج معا.

ولم تكن «سيدة» بالضبط وإنما «خنشورة» كبيرة، مسحت عن نفسها أى لمحة أنوثة، متصورة أن هذا سمت أصيل من سمات المرأة العاملة!

ولم تكن «عجوزا» بالضبط ولكنها من الجيل الوسيط، وأرادت هى وأصرت طوال الحديث على تأكيد فارق السن بين شخصى المتواضع وشخصها مستخدمة فى هذا كل أساليب الإرهاب الاجتماعى المتعارف عليها بيا فيها الأمثال الشعبية والأقوال المأثورة من طراز:

(أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة) و(كبير القوم راعيها) و(إذا لم يوجد كبير وجب وجوده).

وأحيانا أخرى كانت تحشر جملا منغمة من طراز: (أولادنا اللي زيك) أو (جيلكم اللي لسة طالع) أو (الشباب المتعجل).

وأحيانا ثالثة كانت تمصص شفيتها حسرة وهى تعدد مزايا أيامهم:

(كانت الصحافة صحافة حقيقية وكان رئيس التحرير يكتب الجريدة كلها بنفسه حتى صفحة الوفيات). (وكانت البلاد تعيش فى رغد حقيقى الكفتمة تباع بالمتر، والبيضة تحتوى صفارين، وزوج الفراخ ثلاث فرخات).



ثم تزفر السيدة زفيرا حارا طويلا مقتربة من هدفها الذي مهدت له :  
«أين أنتم من هذه الأيام؟!»

وإلى هذا الحد أظننى قد فهمت الهدف ، وتأكدت من ذلك حينما بدأت  
السيدة فى طرح فكرة أن تعمل معى فى عمل كنت أعد له منذ زمن طويل .  
أى أنها استخدمت مدفعية الإرهاب الاجتماعى الثقيلة فى البداية  
تمهيدا لغزو عملى كاسح !

وهنا توقفت قليلا أمام هذا النموذج ، ونظرت للسيدة قائلا :

«إن أعمار الناس يتنازعها مفهومان هما : (الامتداد) و(الكثافة)،  
فهناك من يمتد عمره لخمس أو ست حقب دون أن يحقق شيئا يذكر ،  
وهناك من يحقق الكثير . . الكثير فى حقة أو حقتين ، فالإسكندر  
الأكبر وموزار وحتى سيد درويش ماتوا شبابا ومازال العالم يذكر  
انجازاتهم حتى الآن ، وغيرهم ناهز القرن عمرا وودعتهم ذاكرتنا بفتور  
هادى وهامس أحيانا» .

صممت السيدة برهة ثم سألتنى بلهفة :

- «هيه . . يعنى ح اشتغل معاك؟!»

وقلت لها أيضا : «إن هناك لونا من الناس لا يدرك أن جيل الخوارق  
الكبار كان يأخذ بيد جيل الشباب ، وأن جيل الشباب يتطلع للتعلم من  
جيل الكبار ، أما جيل الوسط فهو الذى رفض هاتين القيمتين» .

ابتلعت السيدة ريقها وقالت :

- «هيه . . يعنى ح اشتغل معاك؟!»

فقلت لها أيضا: «إنك لون من الناس لا يدرك أن الكثير . . الكثير . . الكثير من مصائب مجتمعاتنا وصحافتنا هي النتاج المزهري الجميل لإبداعات جيلك الوسيط الذي استخدم (ديكتاتورية السن) في خنق كل الزهور الصاعدة، وداس بأقدامه شعار (دع مائة زهرة تتفتح) صارخا: «ولا عشرة» . . «ولا - حتى - خمسة»!

وعاودت السيدة سؤالى بنفس الحماس:

- «هيه . . يعنى ح اشتغل معاك؟؟»!

مارس - أبريل ١٩٨٥ م

## يا حزين... أنتَ أعملُ الأمةَ

ظاهرة!

ولكنها تحتاج إلى دراسة وبحث وتمحيص، وفهم - إذا تيسر - !!  
لماذا تصر الأفلام العربية التي تتناول موضوعات سياسية أو وطنية،  
على إظهار اللحظات الأخيرة في حياة الزعماء والرؤساء بشكل  
مأساوي؟!

طبعاً هذا يمكن قبوله على المستوى الشكلي، ومن قبيل المجاملات  
الاجتماعية اللطيفة!

ولكن واقع الأمر أن اللحظات الأخيرة في حياة معظم هؤلاء  
الزعماء تكون لحظات بهيجة لشعوبهم التي تمتلئ نفوس أفرادها بشرا  
وسرورا وحبورا، وتطلعا للمستقبل حين تحين ساعة الخلاص!

والأنكى من ذلك أن الأفلام العربية حينها تسهب في وصف هذه  
اللحظات المأساوية (من وجهة نظرها)، وتفيض في شرح دقائقها  
ووقائعها، تسجل ظاهرة عجيبة هي التي نعني ببحثها اليوم!

فعادة يكون الزعيم ممدا على فراش الموت في غيبوبة، ثم يفيق منها  
فجأة ناظرا حوله بعينين زائغتين، ماسحا زوايا الغرفة، ثم ينادى محيطيه  
بصوت واهن متقطع أنهكه المرض: «هاتولى... عزيز...»، وهنا يتبادل  
الجميع نظرات خطيرة، تدل على أن المسألة مهمة، والحكاية مدلهمة،

ويبدأ المتفرج في الإحساس بأن مقدم عزيز يحمل وراءه شيئا كبيرا، وقبل أن يسترسل المتفرج في أفكاره، يعود الزعيم فيقول بصوت أكثر وهنا: «هـ. . . ا. . . ت. . . لى. . . عا. . . زيز» ثم يروح في غيبوبة أخرى.

وفي المشهد التالى يكون عزيز قد أتى ولكن في عجلة استدعاها هذا الموقف المتدهور، ولا يضير هنا نظرا لهذه العجالة أن يأتي عزيز «بالبيجاما» و«الشبشب».

ويقيق الزعيم، ويتسم ابتسامة حاملة حينها يرى عزيز بجواره، ويمسك بيده قائلا:

«يا عزيز. . . انت أمل الأمة».

ثم يسلم الروح بينما يأتي صدى نشيد وطنى من خلف النافذة، وعزيز مازال يفرك عينيه غير مصدق أن الزعيم قد عينه في وظيفة (أمل الأمة)!

بالضبط مثل الواقع.

فالمستقبل، والأمل في المستقبل، يظل بيد الزعيم حتى مدخل القبر، ويسلمه لمن يشاء، منحة رئاسية لا راد لها!

ولكن السؤال هو. لماذا تنجح هذه الأفلام في نقل صورة الواقع بدقة في هذه المسألة بالذات، دون أن تنقل صورة الواقع في أى عنصر آخر من عناصر الحياة؟!

ألم أقل لكم إنها ظاهرة؟!

مارس ١٩٨٥

## شئٌ من الخوف

رعدة راعدة سرت في جسدى كله حينما تحركت أوراق الشجر  
الخضراء المشوبة بصفرة ، تحت تأثير نسمة باردة ، تحمل رائحة مطر  
قريب .

حككت رقبتى في جذع شجرة تين خشن ، وأغمضت عيني مستسلما  
لرغبتى القوية في النعاس .

أجفلت نافضا رأسى من خاطر النوم ، ضاربا بحوافرى الأرض حتى  
أبعث نشاطا مصطنعا في جسمى .

هدوء مشوب بالحذر ، خيم على الغابة في أعقاب يوم مشهود .

ست بطات ، وثور ، وثلاثة همير وحشية ، وفيل بأسره كانوا ضحايا  
هذا اليوم ، وخرجوا في نهايته من قائمة تعداد السكان القاطنين عالم  
الأدغال الموحش .

في معسكرنا الانتظار يسيطر على الجميع ، فالיום هو الثالث على التوالي  
يمر دون ضحايا من الغزلان ، والجميع ينتظرون ، قد يكون دور أى منا ،  
من يعرف؟ قد أكون أنا ! وقد تكون هذه هى الليلة الموعودة .

مرت دودة كبيرة ملساء بجوار حافرى ، فأثارت قشعريرة في جسدى ،  
كدت أضحك بسببها ، رغم هول الموقف ! لن أنام ، قلت لنفسى ، لن  
أنام .

أربعة ظباء مرة واحدة اختفت في جوف ثعبان مقيت، ما أن يظهر من بين الأعشاب بعينين لا تعبير فيهما، وجلد ناعم مزركش، حتى تتجمد الضحية ولا تعرف لها فكاكا، آخر الضحايا، بالت على نفسها من الرعب، قبل ان يحاصرها ويفترسها . . أى مهانة .

جسمه كله عضلة واحدة ما أن تلتف حول جسد حتى تعنصره اعتصارا، ولقد سمعت بأذنى صوت عظام احد اخوتى يتكسر تحت الضغط كما تتكسر كومة من الحطب الهش . . لن أنام!

هل كانوا يملكون رغبة حقيقية في الحياة، وإذا كانوا يملكونها فلماذا لم يدافعوا عن حياتهم هذه؟ لماذا لم يحاولوا - حتى - الدفاع؟ لن أنام . . قلت . . لن أنام .

وقع خطوات سريعة رشيقة ترمى لأساعى من فوق الشجرة، لابد أنها لبعض القردة، يبحثون عن ثمار تصلح ليتقاذفوا بها معلنين بدء معارك موسم العشار . لن أنام، لن أنااااام!

رحت في غفوة سريعة، لم يوقظنى منها إلا صوت فحيح أعرفه وعينان لا تعبير فيهما، وجلد مزركش ناعم يغطى العضلة الزاحفة القاتلة، إذن فالיום هو الموعد .

استجمعت كل غضبى، وحزنى، وشجاعتى، وحبى، وخوفى، وفرحى، وحقدى، ودمعى، وبغضى، وضحكى، وحلمى، وأملى . وارتكزت على حافرى الأماميين، واثنى جذعى دافعا ساقى الخلفيين فى ضربة واحدة فى جسد الوحش تصرخ أن حبى للحياة أكبر من خوفى من الموت .

مارس ١٩٨٥م

## عَلَاقَاتُ كَلْبِيَّةٌ !

شخصية هامشية .

وبالرغم من هامشيتها، لفتت نظري، واحتلت بؤرة اهتمامي،  
ودفعتني للتأمل - ربما أكثر بكثير من الشخصية الرئيسية في الرواية .

فلم يكن «مرسو» بطل رواية (الغريب) «لألبير كامو» هو محور  
اهتمامي عند قراءتها، برغم تركيب الشخصية وغناها، وبرغم دقة البناء  
الدرامي والفلسفي الذي احتواها .

نعم لم يكن «مرسو» هو محور الاهتمام .

ولإنما الذي شغل بالي حقا - وما زال - هو شخصية هامشية في الرواية  
لرجل يمتلك كلبا، وتسير علاقتهما على نحو عجيب :

- كل منهما يمقت الآخر حتى النخاع !

- كل منهما يحتاج الآخر حتى النهاية !

- كل منهما يتعايش مع الآخر حتى الموت !

وفي رأيي أن «كامو» لم يبرع في وصف شيء في هذه الرواية قدر براعته  
في وصف مشاعر الرجل تجاه الكلب، والكلب تجاه الرجل .

علاقة الأمر الواقع . . والحاجة . . والتعايش . . والكراهية !

واسرح بعيدا . . بعيدا !

وتتابع في مخيلتي الصور، وتتزاحم في رأسي بعض أشكال علاقات  
زمالة، وصداقة، وزواج، وعمل، أصادفها وأتأملها في العالم من

حولى ، واجدها (علاقات كلبية) كمثل تلك التى أبدعها «كامو» .  
أعرف زوجا لا يطيق زوجته ومع ذلك يعيش معها مبتسما لها أمام  
الناس ، لاويا بوزه من ورائهم!  
وأرى زميلا لا يطيق زميله ، فيقابله بالأحضان بعد اجازة مقسما أن  
المكتب كان مظلمًا من غيره!  
والأحظ صديقا أقام صداقاته جميعا فى ظل شبكة مصالح معقدة  
واعطى نفسه حق (إدارة) حياة الآخرين لصالح هذه الشبكة ، ثم يؤكد أنه  
الصديق الحقيقى للجميع!  
ولن استغرب إذا شاهدت - يوما - أصحاب هذه العلاقات ،  
وأحدهم يربط صديقه بسلسلة ، وآخر يقدم لزميله (ساندوتش) عظم ،  
وأخرى توبخ زوجها لدى وقوفه بجوار شجرة رافعا ساقه لأمر يعرفه  
الجميع!!

ابريل ١٩٨٥م



## الوَخْش

اذكر جيدا المرة الأولى التى صافحت فيها عيني الشاشة الفضية  
الكبيرة!

لم يكن ذلك أمرا سهلا، ولا ميسورا.

فقد قبل الكبار صحبتي إلى السينما، بعدما جربت جميع الأسلحة  
المشروعة، وغير المشروعة التى تيسر لطفل، الاستعطف، البكاء،  
التظاهر بالمرض، الامتناع عن الأكل، المباحكة، والنفاق أيضا.

وأخيرا تحقق حلمى المنشود فى يوم مشهود، ووجدت نفسى احتل  
مقعدا فى إحدى دور السينما الصيفية بجزيرة الروضة فى القاهرة. واستعد  
لمشاهدة أول فيلم من الأفلام الثلاثة التى يعرضها هذا النوع من دور  
السينما عادة.

كان بطل الفيلم هو فريد شوقى، الذى طالما سمعت عنه، وعن قدراته  
الخارقة، وكيف كان يسدد لكلمة واحدة فيصرع عشرة أشخاص على أقل  
تقدير، أو ينظر إلى خصومه نظرة نارية فيتراجعون فى هلع ورعب، وما  
يكاد يظهر على الشاشة حتى تصاحبه موسيقى تصويرية تفيد خطورة  
الموقف وأهميته، وعادة ما تتكرر هذه الموسيقى كلما ظهر فى أى مشهد،  
أو فى أى فيلم. . هكذا:

«ان ن ن . . اااااااه!!»

وأغلب الظن أن الموسيقىار الذى ألف هذه القطعة الموسيقية قد اسماها  
سيمفونية «الوحش» تيمنًا بوحش الشاشة فريد شوقى الذى اقترن بها،  
واقترنت به !

كان هذا هو الجو الاسطورى الذى احاط تجربتى فى مشاهدة فيلم فريد  
شوقى، والواقع أن عاصفة من الإثارة قد اجتاحت قلبى الصغير، وأنا  
أجد نفسى - أخيرا - وجهًا لوجه مع «الوحش» الذى طالما سمعت عنه .

وبالطبع ترك ذلك آثارا كبارا على تصرفاتى فى البيت والمدرسة فى  
الأيام التى تلت تجربتى السينائية الأولى، فكانت النتيجة، كسر ذراع  
أحد زملائى بالفصل، وإصابة آخران بجروح وسحجات، بينما كانت  
صيححاتى المدوية تقلق منام أهل البيت، حين افتح الأبواب فجأة  
وأصرخ :

«ان ن . . ااااه» !

ومرت الأيام، وكبر «الوحش» فى السن، ولم يعد يثير فى خيالى أية  
صور اسطورية، ويرغم اتجاهه إلى الأدوار الإنسانية المؤثرة، إلا أنه كان  
يميل أحيانا إلى مزاولة هوايته فى الضرب من وقت لآخر، وكنت قد  
كبرت أنا الآخر ولم أعد مقتنعا بقدرات الوحش العجوز، بل إنه صار  
يذكرنى بقصة العفريت الكهل الذى جلس على طوار الشارع، فلما مر  
أمامه شاب قال :

«والنبي يا بنى تاخذ بايدى لما أقوم أخوفك شوية!!»

فبراير ١٩٨٥م

## أَبُو الْكَبَائِتِ

نعم . . هو أحد الألقاب التي أطلقها محبو العبد لله عليه .

ولذلك حكاية . .

ففى إحدى نوبات الحماس الصحى التى تتابى من وقت لآخر،  
قررت انقاص بعض وزنى الذى كان قد تجاوز المائة كيلو جرام .

ولاننا ابناء مجتمعات ليس فيها سر، ولأن مصالح الكثيرين تتأثر  
بمثل هذه النوعية من القرارات التاريخية التى يتخذها امثالى، فقد ذاع هذا  
الخبر بسرعة جنونية لدى باعة الحلويات المشهورين فى مدينة القاهرة،  
ويقول بعض الخبثاء (على سبيل التشنيع بالطبع) إن عشرين محلاً على  
الأقل قد اغلقت أبوابها بعد تدهور حاد فى بورصة الكنافة!

المهم أن أحد الذين سمعوا بالقرار التاريخى كان الكاتبن عبد الرحمن  
البندارى مدرب السباحة بنادى الزمالك (مسقط رأس العبد لله رياضياً)  
الذى ما لبث ان انتشى فاركا يديه. وتهللت اساريه، وانفجرت  
تكشيرته، بعد أن عثر على ضحيته الجديدة التى سوف يهلك بدنها ثنياً،  
ومداً، وفرداً، وجرباً، وقفزا فى صالة جمنزيوم النادى! وعليه فقد اقتادنى  
إلى أطول ماراثون «تنحيفى» مررت به فى حياتى ونجح فى رفع سبعة  
وثلاثين كيلو جراماً عن كاهلى!

وكان المشرف على جنزيوم النادى وقتها هو المرحوم علاء الحامولى ،  
كابتن مصر ، وصخرة دفاع نادى الزمالك ، الذى كان يتابع بسعادة  
وتشفى عملية التعذيب «البندارية» اليومية .

وفى ساعة عصارى من يوم مدهش ، جاء بعض زملاء الفريق القدامى  
لزيارة عم علاء - رحمة الله عليه - وفى لحظة وجدت نفسى وجها لوجه  
أمام عبده نصحى وسمير قطب ونبيل نصير واخرين ، وتناثرت  
الذكريات ، والضحكات ، والحكايات ، إلا أن الأمر تطور بشكل غير  
محسوب ، فقد جاشت الانفعالات بصدورهم ، وقرروا ان يستعيدوا  
الذكريات ويلعبوا «تقسيمة» على أرض ملعب النادى ووسط مدرجاته  
الحالية التى شهدت أمجادهم القديمة .

كل هذا وأنا أبارك هذه الخطوات اللطيفة ، والأصالة المحموده ، بل  
واتصعب أيضا من فرط التأثر ، حتى أننى فكرت - على الطريقة المصرية -  
فى ارسال برقية تأييد ووثيقة بالدم .

وقبل ان استرسل افاقتنى يد عم علاء وهو يدفعنى إلى أرض ملعب  
الكرة قائلا : «ياللا يا أبو الكباتن»!

واسقط فى يدى فالجميع ينظرون إلىّ وكأن لى سابق معرفة بممارسة كرة  
القدم ويشهد الله أنها كانت المرة الأولى التى أتعامل فيها مع الكرة ، بعد  
مرور ما يقرب من العشرين عاما - وقتها - على ميلادى السعيد .

نهايته ، توكلت على الله ، واتجهت إلى الملعب ، وخلعت نظارتى ،  
حيث لم أعد استطيع تمييز أى شىء يتحرك على أرض الملعب الخضراء ،  
ومضيت متحسناً طريقي حتى احتضنت عارضة المرمى بسعادة باعتبار  
أنها أول جسم صلب اتبينه وسط الأشكال الهلامية التى اسمع  
أصواتها ولا استطيع تحديد مصادرها .

وبدأت المباراة، وسجل التاريخ للعبد لله سبق كونه أول من لعب  
مباراة كرة قدم بطريقة (بريل) مع بعض التطوير، بحيث أصبحت الطريقة  
تعتمد على السمع أكثر من اللمس، فبمجرد سماعي لصوت الكرة تمرق  
من جانبي، أجرى بسرعة شديدة حتى أكون قريباً من موقع الأحداث.  
ووقعت الواقعة.

فقد صمت صوت الكرة، مما يؤكد أنها مستقرة على الأرض،  
وسمعت صرخات من الجميع: (شوط يا أبو الكباتن) فاستجمعت كل  
عزيمتي، وعدت بجسمي إلى الخلف، وملت بجذعي إلى الأمام ضارباً  
الهواء بقدمي التي أطاحت بجسم مستدير، بينما كانت صيحات حادة  
تتعالى وتردد أصداؤها المدرجات الخالية:  
(جول يا أبو الكباتن) (ولا يليله).

هذا بالطبع بينما العبد لله يتقبل هذه التهاني بثقة من كان يقصد!!

يونيو - يوليو ١٩٨٥م

## عَصَابَةُ الْفِنَاجِ الْأَسْوَدِ!

عند نقطة ما . .

تتلور شخصية بعضنا، وتحدد خطوطها في «لازمات» لفظية أو حركية، وتصرفات نمطية، واختيارات ملابس، ومقولات فلسفية، وذوق فني، وتجارب حياتية، ورؤى سياسية، واحساسات بالآخرين.

وعند نقطة ما . . يفشل البعض في أن يحدد لنفسه أيا من العناصر السابقة، نتيجة ضحالة تجربة حياته، أو سطحية ميدان مشاعره، أو إنعدام مقومات موهبته!

وتحت ضغط الشعور بالعجز، وتحت وطأة مراقبة «تميز» الآخرين، يبدأ هؤلاء في الاتجاه إلى «السرقة»!

نعم . . هي (اللمصومية الحياتية) إن جاز التعبير .

يسرقون آراءك، ويخطفون أسلوبك، ويقلدون كل تصرفاتك، ويصبحون مسخا لك يتحرك حولك بنشاط محموم، ويراقب كل ما تفعل، ويحاول أن يفعل مثلك!

إذا اشتريت حذاء اسود ذا مقدمة مدببة تناسب شكل قدمي، صرخوا، «إن الأحذية السوداء هي المفضلة لديهم، والمقدمات المدببة موصوفة لهم» (هذا بغض النظر عن اصابتهم بالفلات فوت وامتداد مقدمات اقدامهم في قطع مستعرض فاخرا).

إذا اعجبتك مسرحية هتفوا: «إنها أعظم ما شاهدوه من أيام سوفوكليس حتى أيام برخيت» (لا يوضح أحدهم كيف تشنى له أن يشاهد المسرح أيام سوفوكليس، فضلا عن شكى في أنه قد شاهد مسرح برنخت)!

إذا أبدت استحسانا لنوع من الطعام قالوا «إنه طعامهم الأبدى المحبب»، وافنوا انفسهم في طهوه كل يوم والتحدث عنه لكل الناس!  
إذا بدرت منك آراء في كتاب رددوها خلفك في كل مجال، بغض النظر عن قراءتهم للكتاب من عدمها!

إذا أبدت محبة تجاه من تحب، أو أظهرت إعجابا لمن يستحق - من وجهة نظرك - هجموا عليه يغرقونه محبة وإعجابا دون أن يدركوا أسبابك في المحبة أو علاقتك في الإعجاب!

إذا اشترت سريرا مريحا سابقوا الريح إلى نفس المتجر ليشتروا سريرا مثله، وحتى إذا لم يرحهم، فإنهم لا يملوا الحديث عن الراحة التي يتمتعون بها بفضل سريهم الجديد، والحنو البالغ الذي يمتصنهم به.  
وهكذا..

هم بلا طعم ولا لون ولا رائحة، لا تتبين لهم ملامح تميزهم أو تخصصهم، هم كمن يرتدى قناعا أسود مسطحا، ثم يبدأ في تقليد ملامح وجهك بوضع رتوش وألوان وظلال فوق هذا القناع.  
واجدنى أردد قولاً مأثوراً يصدق على عصابات «اللصوصية الحياتية».

(التقليد تحية الجهل للعبقرية!).

أوليس كذلك؟!!

يوليو ١٩٨٥م

## مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ !

قطعة من طفولتي . . وقطعة من شبابي . . كان حسن فؤاد! منذ ربيع قرن من الزمان كنت أرتب خطة كاملة محكمة، من أجل التسلل إلى صالون بيتنا ومراقبة الكبار خلصة وهم يتحدثون في أمور لم أكن أفهمها وقتها . . وسمعت مفردات كثيرة عن الصحافة . . والثورة . . والفن . . والحب . . والأدب . . طنت في أذني، وانضجت عقلي ربما أسرع مما يجب، ودفعتني دفعا إلى طريق الكبار الصعب والمؤلّم.

كان حسن فؤاد بينهم بقامته المديدة، وتحمسه الدائم، وصدقه الشديد. وكنت أرقبه كما أرقبهم وبعد انصراف (الضيوف) كنت اختلي بنفسى لاحتفل بنجاح خطتي واقلدهم جميعا، امسك بقلم رصاص بين أصبعي الصغيرين ليبدو كسيجار إحسان عبد القدوس، وارتندي نظارة ابي الطيبة لابدو كأحمد بهاء الدين، وأحمل معظفا على ذراعي لابدو كسعد كامل، وأرفع حاجبى دهشة لابدو مثل محمد عودة!

أما عن حسن فؤاد فحينما وددت تقليده وجدتنى (على قدر استطاعة طفل) أتحدث بحماس . . عن الصحافة والثورة والحب!! ومرت الأيام . . ودارت الأيام . .

وكبرت . . لتصبح مجلة «صباح الخير» جزءا من اهتماماتي ودراستي ووجدت نفسى أعيش على أوراق البحث بين كوكبة التيار الفنى والثقافى والسياسى الذى نشأ فى أحضان هذه المجلة .

ووجدتنى مرة أخرى مع حسن فؤاد، نبض هذه المجلة وروحها، أحبه فأحبها، وأحبها فأحبه .

وقد احببت (صباح الخير) واحببت عم حسن، الذى كان قادرا فى كل مناسبة على أن يمنحنى قدرا كبيرا من الحب . . ومن الثقة ومن التفاؤل الذى يصدر من صميم القلب . . . . . رحم الله حسن فؤاد .

أغسطس ١٩٨٥م



## السبيلُ إلى البدر !

حالة انتظار . . !

تتطلع بالأمل المخنوق إلى المستقبل، تبحث عن حلم، بدلا من أن تبحث عن تحقيق الحلم .

لماذا نتحدث كثيرا عن حلم الديمقراطية دون أن نكون ديمقراطيين في صداقاتنا، وحبنا، وتعليمنا، وفنوننا، وتربيتنا، وصحافتنا، و . . .

لماذا تبدأ أحلامنا بجملة (لو كنت . . .)؟!

بدلا من أن تبدأ بجملة (لو كان الآخرون)؟!

نشجع فريقا رياضيا، ونلقى باللائمة على الحظ والحكام والطقس والعارضة، دون أن نتبين عدم أحقية هذا الفريق في الفوز، ممارسين لونا فريدا من الفاشية الرياضية!

نحب لونا من الموسيقى، فلا نسمع غيره، وتسقط أذاننا اسيرة ديكتاتورية النغمة الواحدة!

ننتمى لحزب سياسى فننسى أنه حزب يلعب مع آخرين ونفكر في إطار التعدد بمنطق الحزب الواحد!

نحب فنطالب الحبيب بأن نكون بؤرة اهتمامه الوحيد، دون أن نلزم انفسنا بهذا الطلب (الأمر)!

وإضافة على ذلك كله، فنحن نبارك أى حركة فى اتجاه «واحديتنا»  
ونرفض أن نشارك أى حركة فى اتجاه «جماعتنا»، وفارق كبير بين  
«المباركة» و«المشاركة» .

فنحن نسمع الأغانى ونطرب لها، دون أن تأتينا جسارة المشاركة فى  
الغناء إلا فى الحمام مثلا!

ونحن نشجع الكرة بهوس وجنون، ونخجل من مواجهة الناس  
بشورت وفانلة فى أحد الملاعب!

ونحن جميعا جميعا نتكلم فى السياسة، ولكننا جميعا جميعا لا نشارك فى  
تشكيل واقعها .

دائما هناك نائب ينوب عنا فى أى أمر يستوجب الحركة خارج إطار  
ذواتنا النرجسية!

ثم نتكلم عن أزمة السينما وأزمة المسرح وأزمة الكرة، وأزمة  
الديمقراطية .

ويعد أن نتعب من الكلام عن الأزمة، نبدأ فى الحلم بحلها،  
ونحلم . . ونحلم بحل يبدو كالبدر الذى لن يطلع أبدا .

ونظل فى أحلامنا اسرى حالة الانتظار كما كان المتنبى يقول :

ليالى بعد الظاعين طوال

شكول وليل العاشقين طويل

يبين لى البدر الذى لا أرىــــده

ويخفين بدرا ما إليه سبيل

يوليو ١٩٨٥ م

## كلام كبير !

الحقد :

يمارسه البعض بتلذذ طموحاً لأن يصلوا المرحلة الغل !

الديمقراطية :

ستار يخفى استبداد كل منا !

الرجولة :

موقف وقضية .. لا تنفع فيه النسبية !

(.....)؟

مهنة الجهل الرشيق !

القراء :

نصفهم لا حاجة به للقراءة حتى تبهره، والنصف الآخر لا حاجة

به للقراءة حتى تطعمه !

القلب :

مغلق للتحسينات !

الكذب :

حالة فشل اجتماعي حاد، مصحوبة بانيميا في الضمير !

الشعر :

مرحلة يمر بها كل واحد فينا .. والبعض يستمرون !

الأحزاب :

بعضها ينشأ حول فكرة، وبعضها ينشأ حول طبقة، وبعضها ينشأ

حول مائدة عشاء !

الغباء :

درع يحمى عقول الأغبياء من إدراك الحقيقة !

السوقية :

يفسرها البعض على أنها أخلاق «السوق» !

المسح :

«دنيا» يعيش فيها بعضنا «تحت الضوء»، والبعض الآخر في «الكوايس»، والبعض الثالث في «كمبوشة الملحن» !

الصداقة :

تبدو أنبل حين نعيد اكتشافها !

الفهلوة :

مبادرة مقتحمة تغطي جهلا فادحا !

الحب :

لا يتجزأ !

«ليس بالكذب وحده يحيا الإنسان !»

(صحفى)

«إنى رأيتكما معاً !»

(مخبر)

إن أربعين «قرنا» من الزمان تنظر إليكم !

(خروف)

«يا للهول» !

(مؤرخ للشرق الأوسط)

«وما نيل المطالب بالتمنى !»

(حانوتى)

مارس - يونيو ١٩٨٥ م

## حزبُ المناطِليين على المبادئِ الفِسنَلِيَّةِ!

هو تنوعٍ خبيثٍ على اسم حزب (الإصلاح على المبادئِ الدستورية)!  
ومبعثُ التنوع هو الدخول إلى وصف جماعة من أهم وأخطر  
الجماعات العربية المعاصرة:

هذه الجماعة هي جماعة المتألمين ألماً دائماً، والمتباكين بكاءً حاراً  
والمطحونين الذين تضيعُ صيحاتهم المبحوحة، وزعقاتهم المكتومة وسط  
ركام أجسادهم المسحوقة!!

أى والله . .

فهناك صنف من البشر احترِف (التألم) وسط الناس، كتمهيد للمزايدة  
على الآخرين الذين لا يبدون نفس القدر من الألم تجاه ما يعتقد  
أنه مؤلم!

والغريب أن محترِفِ الألم - في تأكيد صارخ لمزايداتهم - يربطون بين  
قضاياهم الشخصية التي تؤلمهم (أو يدعون أنها كذلك). وبين القضايا  
العامة التي يفترض أنها تؤلم الجميع، بحيث يصبح ذلك ارتباطاً شرطياً  
لا فكاك منه، فمن يتألم للقضية العامة، لا بد أن يشاركهم التألم  
والأين لقضيتهم الخاصة!

والغريب أيضا أن محترفي (التألم العام) هم في الغالب من الصنف  
الذى ارتكب أمرا ما ويود تغطيته بالتألم حول ضياع المبادئ ، تلك  
المبادئ التى طعنها مثنى وثلاث ورباع!

ما علينا . .

تعالوا نبني نموذجا عمليا لمقولات حزب المتألمين على المبادئ  
الفشنيكية . . وتأمل قليلا . . أو كثيرا (حسب وقتك يا عزيزى القارىء)  
في هذا الصنف من البشر :

(يصرخ أحدهم أن أصبع قدمه الكبير يؤلمه ، وأنه لا يستطيع أن يلبس  
حذاء ، فأين يذهب به إلى هذه الطرق القذرة التى لم ينظفها أحد منذ ربع  
قرن؟ ، ويردد قول جان بول سارتر: «ما جدوى أن يكون العالم واسعا  
وحذائى ضيقا!»، أو اه لقد ضاع نصف عمرى دون نظافة شوارع ، ولكن  
من يحس بألمى وألما جميعا طالما أن هناك من يمتلكون العربات التى  
تكفيهم مشقة المشى فى الشوارع القذرة حينما يؤلمهم أصبع قدمهم الكبير ،  
هؤلاء الذين يأكلون بسهولة ، ويشربون بسهولة ، ويتزوجون بنفس  
السهولة ، لماذا لم أتزوج؟ ، لماذا لا تحبنى الفتيات؟ ، نعم . . لأننى  
لم أحصل على نصيب عادل من الدخل القومى يتيح لى معالجة أصبع  
قدمى الكبير والتفرغ للحب والزواج ، وكيف أحب وأنا مشغول بالنضال  
من أجل قضية فلسطين ، نعم تلك القضية التى غابت عن ذهن الجميع ما  
عدا خلاصة المناضلين أمثالى ، الذين مازالوا يعيشون القضية ويكافحون  
بكل ذرة فيهم رغم شدة الألم التى حلت بأصبع قدمهم الكبير ، إن غيرى  
من أصيبوا بالألم فى أحد أصابع قدمهم الصغيرة تقاعسوا عن النضال ،

بينما أنا ..... أنا ... (يصرخ) ..... أنا ..... ما زلت أنا ضيل  
كائماً ألى الكبير فى أصبع قدمى الكبير!).

وقبل أن ينهى المتألم حديثه يثر هنا وهناك فواصل من الكلام عن  
المبادئ والمثل وحبّتين (صدق)،

على حبة (معاناة).

ودقى يا مزيكا!!

اغسطس - سبتمبر ١٩٨٥ م

## شئٌ موعن العذاب

وقف الرجل وقفة أسد هصور، وهو يلاعب شعيرات شاربه الكث بطرف أصبعه، ثم عقد الحاجبين على الجبين اللجيني، وزفر بغضب حتى ليخال المرء أنه ينفث نارا ذات شرر، وصاح:

- «والله.. تالله، لانفخنك بالمنفاخ، حتى تفرقع أجنابك، إن لم تعترف بما أريد وأرغب!»!

هذا - بالطبع - ليس مشهدا من فيلم سياسى يصور عملية الحصول على الاعترافات من سجين رأى، فى إحدى دول العالم الثالث!  
ولكنه صورة تذكرتها، وأنا استمع إلى أغرب مقولة مررت بها فى حياتى.

فقد أعد التلفزيون البريطانى حلقات اسبوعية تسجيلية ممتازة عن كفاح الجزائريين فى سبيل الاستقلال، وعرضها فى ذكرى معركة الجزائر، وجلست أتابع فصول الملحمة الجزائرية، واستمع إلى سيرة جميلة بوحريد، معارك الشوارع، والعمليات القذائية، وأيضا تعذيب المناضلين.

حتى هذه المرحلة، والأمور تسير فى إطارها الطبيعى، والتلفزيون الإنجليزى يبارس حياديته المعتادة فىأخذ رأى الطرفين (الفرنسيون - الجزائريون)، وهذا أيضا تصرف مهنى محمود، إلى أن طلع علينا أحد



الجنرالات «الفرنسيس» (كما كان الجبرتي يسميهم) شارحا نظريته العجيبة عن التعذيب .

يقول الجنرال :

«التعذيب هو الذى يحدث عاهة مستديمة بالإنسان ، أما الذى حدث فى الجزائر ، فكان مجرد تعريض جسد المعتقلين لتيار كهربى مع خفضه ورفعها ، حتى يفقدوا الوعى ويبدأوا فى الاعتراف!»

- الله يفتح عليك يا أستاذ!

ما هذه الروعة ، لكم أوتيت من البلاغة ، إننى لأسأل ما الذى يمكن تسميته تعذيبا إذن؟!

واضح أننى كنت أمام نوع جديد من البشر ، يعتبر دغدغة جسم المعتقل السياسى بالكهرباء ، نوعا من الملاغة الحنون .

وواضح أن الجنرال يمارس فى حياته اليومية تصرفات لطيفة كهذه .

فغالبا توقظه زوجته بسكب حلة من الزيت المغلى فى صرصور أذنه ، وأظن أنه يحلق ذقنه ببلطة حامية ، ويلعب مع أطفاله بتعليقهم من أصبع قدمهم الصغير على باب المنزل ، ومقعده الوثير المفضل ذو حشية مغطاة بالفحم المتقد ، هذا عدا هواياته المتعددة مثل رى حديقته بباء النار ، وشرب كوب من الدم المثلج (على غيار الريق) ، أو لعب الجولف بكرات من جماجم صغيرة ولطيفة .

وغالبا ما يحمل الجنرال الفرنسى فى حقيبته أدوات الشغل ، وقد صممها بنفسه فى أحجام عملية سهلة الحمل والاستخدام ، منها مثلا

خلاعة أطافر أنيقة ومذهبة، ومنفاخ جلدي بسيط يصلح للاستخدام في كل أوقات النهار.

أشحت بيدي في وجه الجنرال الكريه، ودوت في إذني كلمات عبد الرحمن الشرقاوى على لسان جميلة بوحريد: «بالله يا ربح الظلام عودى إلى البلد الذى أقبلت منه وبلغى عنا السلام!».

يناير ١٩٨٥م

## عُضَّ قَلْبِي!

عجبية تلك العبارة بما فيه الكفاية!

«عض قلبي ولا تعض رغيفي».

ومبعث العجب، أن الذى أطلق هذه (العبارة - القانون)، كان على استعداد أن يضحى بقلبه فى سبيل إنقاذ رغيفه.

ومبعث العجب، مرة ثانية، ليس السهولة التى يفرض بها صاحب المقولة فى قلبه، ولكن الإقدام الذى يدافع به عن رغيفه!

فأى رغيف هذا الذى يثير فى النفس هذه الفدائية الجسور؟!

هل هو رغيف «بلدى» مثلاً؟ ومن هنا فهو يرتبط بنوازع وطنية، تجعل الحفاظ عليه نوعاً من الحفاظ على الشخصية القومية فى مواجهة التأثيرات الأجنبية الغربية عن مجتمعنا!

هل هو رغيف «شامى» يعبر عن الشعور القومى، ويرسخ فى النفس اقتناعاً بالوحدة التى ما يغلبها غالب؟!

هل هو رغيف «شمسى» يدعو للتمسك به فى زمن أصبحت المواضع فيه هى البحث عن بدائل «الطاقة»؟!

هل هو رغيف «بتاو» يثير مشاعر الارتباط بحياة الريف الرغدة الجميلة، تأكيداً لنظرية الزميل الدكتور محمد عبد الوهاب: «محلها

عيشة الفلاح»، الذى - من وجهة نظر الدكتور طبعاً - «يتمرغ على أرض  
براح»؟!

هل هو - أخيراً - رغيّف «فينو» يعتبر بقاؤه ضرورة تمثل الاستعانة  
بالخبرة (الأجنبية) فى سبيل امتلاك ناصية التقدم التكنولوجى؟!  
كل هذه أسئلة تثور فى النفس والعقل حول «طبيعة» الرغيّف نفسه،  
ولكن إحدى النقاط الجديرة بالبحث والتأمل أيضا هى «مضمون»  
الرغيّف .

فرغيّف كهذا الذى يدفع الإنسان للوجود بنفسه وقلبه فى سبيل إنقاذه،  
لا يمكن أن يكون مجرد رغيّف (حاف) .

ولكنه - دون شك - سيكون رغيّفا محشوا بأطياب الأطعمة، التى  
تبلل وجهه المحمر بدسمها ومرقها .

وسوف تكون هذه الأطعمة - بلا جدال - من النوع النادر النفيس،  
كلحم الطاووس مثلا (بالمناسبة هل تذوق أحدكم لحم الطاووس؟! أرجو  
أن يخبرنى عن طعمه حتى أقرر ما إذا كان يستأهل التضحية أم لا؟) .

واستكمالا لبحثنا عن هذا الرغيّف المعجزة، الذى نجح فى أن يصبح  
«رمزا» نضحى فى سبيله بالحياة، بدلا من أن يكون «وسيلة» لاستمرار  
هذه الحياة .

فإن تخليد هذا الرغيّف يعد أمرا واجبا، يدعو لاستمرار تأجج نفوس  
الشباب برغبة التضحية من أجله، وقد يكون ذلك بإقامة نصب تذكارى  
للرغيّف المجهول أمام أحد المخابز، بحيث تلقى من حوله أكاليل الزهور  
فى المناسبات الوطنية للترحم على شهداء الرغيّف، أولئك الذين إعتنقوا  
النظرية الخالدة:

«عض قلبى ولا تعض رغيّفى»!

م ١٩٨٥

## في رثاءِ طفل!

(على أعتاب العام الثلاثين)

كانت لي ضحكة طفولية أحبها!

أطلقها صافية مجلجلة، حين أطل على كل

الذين يتصنعون النضح!

أضحكها، وأنا غاضب، أضحكها وأنا أكتب، أضحكها وأنا

أضحك!

أضحكها - حتى - وأنا أبكي، من شر لا أقوى على مواجهته!

كنت أجرى إلى كراسة رسم صغيرة، وعلى صفحاتها ينال كل «ظالم»  
عقابه، الذي يستحق، وضحك، وضحك... من الأعماق!

تصفحت كراستي القديمة، فتتابعت أمامي الوجوه:

وجه معلمتي التي عاقبتني حين رسمت «بالألوان» على غطاء

القمطر!

ولاعب كرة زمكاوى أهدر منا بطولة الدورى ذات مباراة!

وزميل شاعر هلك بدنى بقصيدته الخالدة (لا تلمى)!

ووزير أغلق مسرحا ويضع مجلات!

وطالب سألنى في مدرج الجامعة: لماذا نتعلم؟!

وكوميدي مرذول سمج لقب نفسه «خفيف الظل»!  
 وزعيم أغلق بلده كالديكان ومضى إلى حال سبيله!  
 وصحفي قال: «الحياة خطف، والعمر لحظة»!  
 ومثقف اتهم الجميع بالخيانة!  
 وجمار كبير عاتبنى غاضبا (أو قل رافسا): لماذا ترسم فمي بهذه  
 الضخامة؟ مع أن لي فم «مسمسا»!  
 وأخيرا وجه صديقي الذي انبأني - مع الأسف - نبوءة صادقة:  
 «ولى زمان ما تحب، وجاء زمان تدفع فيه ثمن طفولتك، نضجا وراء  
 نضج، وحرنا وراء حزن»!  
 بالإضافة إلى مجموعة من أرقام التلفزيونات (المشغولة)، ومسودات  
 قصص (لم تنشر)، واسماء لأشخاص (لا أعرفهم)، ورسم لآلة  
 كاتبة تضع فيها المخ من هنا، فتخرج المقالة من هناك!  
 ومجموعة أخرى من الآراء المهزومة في الفن، والحب، والأدب،  
 والانقلابات العسكرية!  
 وكبرت، ربما أكثر مما يجب، ففقدت ضحكتي، وتعودت نضج  
 الكبار، ووقفت حيث وقفوا.

ملحوظة مهمة جدا:

(تقف مشاعر العقلاء، المترزين، الكبار، - عادة - في منطقة  
 «محايدة» مثل سويسرا، حيث الحزن ليس حزنا بحق . . وحيث الفرح  
 ليس فرحا بحق، وحيث الحلم والأمنيات الغوالية تتخبط في دمائها، بعد  
 أن تذيب بمقصلة النضج، والمعقول، والتقليدي . . . والممكن)!!

يناير - فبراير ١٩٨٥ م

## الفهرس

- ٧ ..... مقدمة □
- ١٧ ..... البداية □
- ٢٣ ..... البحث عن دور □
- ٣١ ..... لقاء مع السفير الأمريكى □
- ٤١ ..... الحساسة الجديدة : ومبدأ الهرش □
- ٥١ ..... بانادى عليك □
- ٦٣ ..... ابن ستين خلدون □
- ٧٣ ..... حقوق الإنسان اللولبى □
- ٨٧ ..... سعيكم مشكور □
- ١٠١ ..... الفالوذج واللونج : والتمر هندى □
- ١١٧ ..... النهاية □
- ١٢٩ ..... وحكايات أخرى □
- ١٣٠ ..... بس .. يا بحر ! □
- ١٣٢ ..... كورس □
- ١٣٥ ..... الجورنالجية □
- ١٣٧ ..... المكتتبون العرب .. أين السعادة !؟ □
- ١٤٠ ..... المكتتبون العرب .. نشيد الفرح الإنسانى □
- ١٤٢ ..... فى الليل لما خلى □
- ١٤٤ ..... زيارة السيدة العجوز ا □

- ١٤٧ ..... ياعزيز . . . أنت أمل الأمة
- ١٤٩ ..... شئ من الخوف
- ١٥١ ..... علاقات كلية ا
- ١٥٣ ..... الوحش
- ١٥٥ ..... أبو الكباتن
- ١٥٨ ..... عصابة القناع الأسود !
- ١٦٠ ..... من صميم القلب
- ١٦١ ..... السبيل إلى البدر !
- ١٦٣ ..... كلام كبير
- ١٦٥ ..... حزب المتألمين على المبادئ الفشنكية
- ١٦٨ ..... شئ من العذاب !
- ١٧١ ..... عض قلبي !
- ١٧٣ ..... في رثاء طفل !

رقم الايداع : ٩٥ / ٨٢٠٠  
I.S.B.N 977 - 09 - 0306 - x

### مطابع الشارقة

الشارقة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس ٣٩٣٤٨١٤  
بيروت ص ب . ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣





## كفاحى

مؤلف الكتاب هو د. عمرو عبد السميع

وهو محاور صحفى من طراز رفيع إلى جوار مقدرته على إدارة ندوات صحفية سياسية ، يستغل فيها قدرته على الصعود بالحوار إلى الذروة وإستخلاص الرأى أو إعتصاره من أطراف الحوار .

وهو رسام كاريكاتيرى يومى ، ليست السخرية جديدة عليه .

نحن - إذن - أمام جوانب متعددة فى شخصية الكاتب ، وهى مواهب تشبه قطعة الماس التى تشتعل من الداخل بألوان مختلفة ، حين يسقط عليها شعاع من الضوء وينكسر داخلها إلى آلاف الألوان .

· فى هذا الكتاب يرسم د. عمرو عبد السميع صورة لمناضل من مناضلى هذا الزمان ، مثلما رسم ليرمونتوف فى كتابه « بطل من هذا الزمان » صورة لبطل المرحلة التى كانت تمر بها روسيا .

ومع الفارق المتمثل فى درامية كتاب ليرمونتوف وفكاهية كتاب عمرو عبد السميع يبقى الأساس قائماً ، وهو صورة إنسان ينتمى إلى العصر الذى يتحدث عنه المؤلف .

ومن خلال المزج بين ماهو واقعى وماهو خيالى يقوم المؤلف بتعرية النضال والمناضلين . . والمبادئ والقيم والأقوال والأفعال وبهذا كله يرسم صورة جديدة للمجتمع وسط قهقهة القارئ وعدم تصديقه لما يجرى .

اعماله